717

روايات عبير

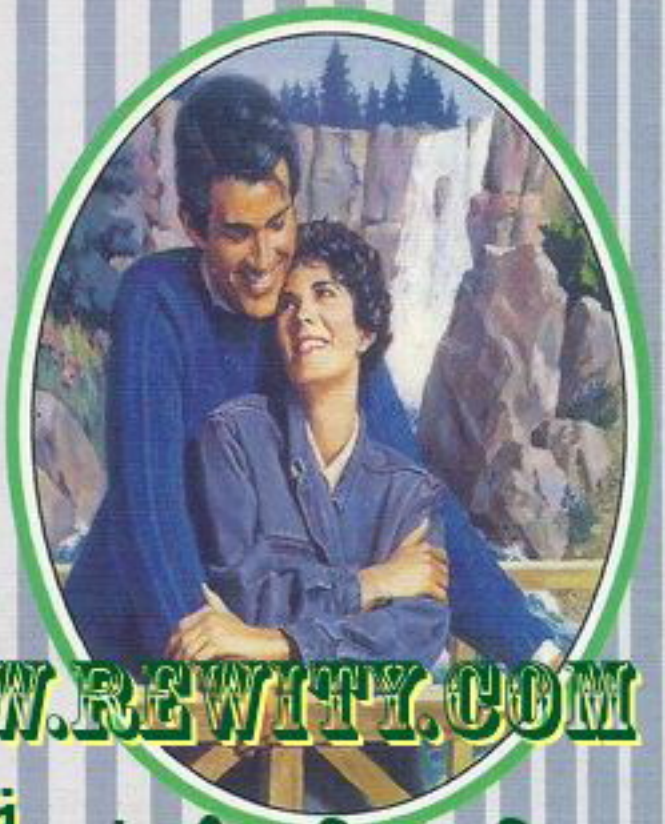

WWW.REWITY.COM

مرمورية

Charlotte Hudson

الحبيبُ الموْعُود

الأصليّة

روايات عبير

«الحبيبُ المَوْعُود»

قد يطلعُ علينا المجْهول بكنز أو بعلم قديم. وقد يأتينا المجهول بحُبٍّ غيْر متوقع، بل هو غالبًا ما يأتي بما لا نتوقع. كانت «جودي» الفتاة الإنجليزية الفقيرة تتطلّع إلى أن تجدَ وظيفة عاديّة، وغرفة متواضعة تعيشُ فيها بعيدًا عن زوجة أبيها التي لا تكفّ عن الشجار ودائما كانت تُردّد أنّ «جودي» فاشلة.

وبالمصادفة وجَدتْ «جودي» مصيرها يرتبطُ بمصير رجلٍ كان يريدُ غيْرها في الحقيقة. رجُل ثري يملك أُسطولا من السفن، ولم يبقَ من حياته إلا أشهرٌ قليلة، لا يريدُ أن يعيشها وحيدًا. أحبّته «جودي» بكل كيانها، ومع ذلك كانت هناك دائمًا مسافةٌ بينهما. هل يعطفها عليه وبرقة مشاعرها واهتمامها به تَسْتطيعُ أن تحقّقَ السعادة الأبديةَ بينهما؟

ثمن النسخة

لبنان	3000 ل.
سوريا	100 ل.
الأردن	1.5 دينار
السعودية	10 ريال
الكويت	750 فلس
الإمارات	10 دراهم
البحرين	1 دينار
قطر	10 ريال
مسقط	1 ريال
مصر	6 جنيه
المغرب	30 درهم
ليبيا	5 دينار
تونس	2.5 دينار
اليمن	300 ريال

ISBN 995338052 -X
9 789953 380520

العنوان الأصلي لهذه الرواية
Rough Diamond

تأليف
Charlotte Hudson

الغلاف بريشة الفنان
Patrice Gordon

www.rewity.com
مـــرمـــوريـــة

الحبيب الموعود

(717)

الناشر
المركز الدولي للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

الإدارة العامة والتوزيع
تليفون: 666 212 9 961 00 – فاكس: 665 212 9 961 00
ص.ب 374 جونيه – لبنان
Email: info@inter-press.org · www.inter-press.org

وكلاء التوزيع
دار ميوزيك – دار البشير – دار إي بي سي

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعًا باتًّا نقل أي جزء أو قسم من هذا الكتاب وبأية وسيلة مرئية أو صوتية... إلخ
إلا بعد الحصول على موافقة خطية من الناشر

- 5 -

- 1 -

كان المشهد الذي تطل عليه غرفة نوم «جودي» واحدًا من أجمل الأماكن في منطقة «دورست» وبدت قرية «إيست مالدون» بعيدة عن ضجيج الحضارة حيث أحاطتها التلال المنخفضة، كما كانت منعزلة عن مدينة «بريدبورت» الساحلية القريبة، خاصة عند اكتظاظها بالسياح في شهور الصيف. كانت «جودي»، ولفترة قصيرة مضت، قادرة على تثمين المشهد وحظها الحسن لعيشها في قرية هادئة لاتزال الماشية ترعى قريبًا منها، وجسرها القديم المطل على النبع الجميل والبرج الملحق ببيت والدها المبني في القرن السابع عشر.

والآن، إذ وقفت قرب النافذة محدقة إلى التلال الترابية، لم تر شيئًا يسرها إذ كان ذهنها منصرفًا إلى ما جرى منذ لحظات في غرفة الجلوس في الطابق الأرضي، كان مشهدًا مألوفًا ينتهي دائمًا بالطريقة ذاتها... حيث يبدو على والدها الإحساس بالذنب، وزوجة والدها محمرة الوجه غيظًا. و «جودي» على وشك البكاء، استدارت ببطء إذ سمعت اقتراب خطوات والدها من غرفتها، وقالت «جودي» حالما دخل والدها الغرفة:

– كان عليك البقاء إلى جانبها. أغلق الباب وراءه ثم تقدم نحوها قائلا:

– «جودي»، عزيزتي، اغفري لي خطأ الزواج بها. فقاطعته «جودي» قائلة:

– من الأفضل عودتك إليها، إذ إنك تعلم جيدًا أنها ستتّهمك باغتيابها.

تجاهل والدها ذلك وجلس على حافة السرير، بدا متعبًا مقطب الجبين وهو يقول:

– فكرت في أننا كنا سعداء حتى السنة الماضية، عشت دون زوجة مدة

عشرين عامًا، أي منذ ولادتك، ثم ارتكبت الخطأ الفادح في العام الماضي.
وتنهد بعمق مضيفًا:
– هناك مثل يقول: «ليس هناك أسوأ من أحمق عجوز». جلست إلى جانبه ثم قالت بحنان:
– إنك لست عجوزًا يا عزيزي، إنك في الخامسة والأربعين فقط، وهي أفضل سنوات حياة الرجل.
– أشعر بأنني عجوز يا «جودي»، كنا سعيدين جدًا معًا. لمَ فعلت ذلك؟ وماذا عنك؟ يقال إن للمرأة القدرة على التنبؤ بما سيحدث!
– هل أحسست في البداية أن الزواج سيفشل قبل أن تتزوجها؟ أوما برأسه إيجابًا فاستمرت مواصلة:
– ليس من حقي التعبير عن رأيي في «أليس» يا والدي، إنك زوجها ولابد من أن هناك ما جمعكما معًا في البداية، وكما قلت عدة مرات: هناك احتمال كبير أن تسود السعادة حياتكما لو لم أكن معكما، وإذا غادرت ابنة «أليس» المكان يتوجب عليَّ المغادرة أيضًا.
– «حنة»... لفظ والدها الاسم بمرارة ولم تجد «جودي» صعوبة في قراءة أفكاره. كان والد «حنة» قادرًا ماديًا على إرسال ابنته إلى مدرسة خاصة للتمثيل إلا أنه توفي قبل أن تشتهر، بل كانت ممثلة صغيرة أدّت أدوارًا لم يلحظها أحد. قال والد «جودي»:
– لم تواصل والدتها الحديث عن شهرتها المفاجئة؟ كان الحظ سببًا رئيسيًا في اختيارها بطلة لذلك الفيلم، وعلى أية حال، لم يعرض الفيلم بعد ليتعرض لنقد الجمهور والنقاد؛ إذ قد تكون «حنة» أقل موهبة وشعبية مما تتوقع والدتها. أجابته «جودي» بإخلاص:
– إنها عملت بجد لتناله. قطب والدها جبينه:

– إنها ليست فتاة لطيفة، من الغريب أنني ظننت ذلك خاصة عند بدء معرفتي بوالدتها.
وأرادت «جودي» القول بأن الأم سلكت السلوك ذاته، إلا أنها كبحت رغبتها في لفظ شيء قد يسيء إلى الموقف وإلى والدها. ورغم شكوكها في صحة موقف والدها، إلا أنها لم ترغب الطعن في زواجه. جلس صامتًا بطريقة ذكرتها بما حدث ذات يوم حين علمت «حنة» بأنها ستحصل على دور البطلة في فيلم «فرانز جينبر غر» (فانتازيا الغسق)، فقالت لـ«جودي».
– «جودي لانكهام»... يا له من اسم يصلح لنجمة سينمائية... «جودي» ما رأيك لو استخدمتُ اسمك بدلا من اسمي؟ لم تلق الفكرة ترحيبًا لدى «جودي»؛ إذ بدا لها استخدام اسمها مماثلاً لتغيير هويتها، وإذ لاحظت «حنة» ترددها أضافت بأسلوبها الساخر:
– ليس هناك ما يمنع اختياري أي اسم أرغب فيه... إلا أنني أُفَضِّل اسمك، كما أرغب في الحصول على موافقتك. بمعنى آخر أرادت «حنة» استخدام اسمها سواء أرغبت في ذلك أم لا. ودفعا للملابسات منحت «جودي» موافقتها، منذ ذلك الحين أصبحت «حنة سميث» تدعى «جودي لانكهام»، بطلة فيلم صُوِّر في جزيرة في جنوب المحيط الأطلسي.
نظرت «جودي» إلى والدها الذي بدا منعزلاً إلى حدٍّ أحست فيه بالعطف عليه، فأحاطته بذراعيها وهي تقول:
– تلك المشادة العنيفة... ما الذي ستجنيه «أليس» من اختلاقها مشادة كهذه؟ ما الذي يدفعها إلى ذلك؟
– ربما كان السبب حدّة طبعها. وتنهدت «جودي» متذكرة كلمات «أليس».

– انظر إلى ابنتي! ممثلة فيلم مشهور، لكن ماذا عن ابنتك؟ لو لم تكن غبية في دراستها لتمكنت من دفع مبلغ كاف لطعامها وسكنها... إنها طفيلية في سلوكها. فردّ والدها بغضب:

– توقفي عن الكلام! تركت ابنتي المدرسة، لأنني كنت مريضًا وظن الجميع أنني على وشك الموت، كان مرضًا مزمنًا وقال الطبيب إنني لن أمشي ثانية، كانت «جودي» متقدمة في دراستها إلا أنها لم تتردد لحظة واحدة في ترك المدرسة من أجل الاهتمام بي، وحتى بعد أن استعدت صحتي لم أستطع العمل فترة طويلة؛ لذلك عملت «جودي» لإعالتنا معًا، لذلك تجدينها الآن تمارس عملاً لا مستقبل له، وأنت تعلمين ذلك جيدًا، فلم تواصلين الحديث عنه... لماذا؟

– في إمكانها الحصول على عمل أفضل لو حاولت جديًا... إذ إن ما تعطينني إياه لا يكفي...

– لكنني أعطيك الكثير.. أليس كذلك؟ وبان الغيظ واضحًا على وجهه حتى ظنت «جودي» أنه سيضرب زوجته. غادرت «أليس» المكان متوجهة إلى المطبخ بعد أن صفقت الباب خلفها بعنف فسقط أحد التماثيل الخزفية الصغيرة على الأرض فتناثر قطعًا صغيرة. قطبت «جودي» جبينها إذ رأت نظرة والدها إلى التمثال وانحناءه لتجميع القطع. كان التمثال ملكًا لزوجته الأولى وكانت قد ورثته من جدتها. تكلمت «جودي» أخيرًا بعد أن نهضت عن السرير وتحركت نحو وسط الغرفة:

– يجب أن أجد وسيلة للعثور على مكان آخر يا والدي. إن «أليس» محقة حين تقول إنني لا أساهم بما فيه الكفاية في مصروف البيت. إلا أنني لا أستطيع الدفع أكثر لضآلة راتبي ولكلفة المواصلات، لكن لو استطعت العثور على غرفة قريبة من مكان العمل لاستطعت ترتيب

وضعي بشكل أفضل، ونظرت إليه بعينين كساهما الحزن والندم قائلة:

– إن وضعنا المالي سيئ يا والدي، إذ إنني لا أدفع ما يكفي لـ «أليس» وفي الوقت نفسه لا يبقى لي ما أستطيع ادخاره بسبب المصاريف التي ذكرتها.

– سأعيد ما قلته من قبل... إنني أعطيها الكثير.

– وستبقى تعطيها المبلغ نفسه بعد مغادرتي. كان والدها يمنح «أليس» كل راتبه باستثناء القليل للمواصلات ولشراء صحيفة يومية، كما تفعل «جودي».

أحنى «بيل» رأسه فأحست «جودي» بالأسف الشديد لأله. يا له من ثمن يدفعه لخطإ زواجه بـ «أليس سميث» الجميلة الشقراء! أحب والدها «أليس» حين بدأت العمل ككاتبة على الآلة الطابعة في المؤسسة التي عمل فيها ككاتب بسيط. وكما قال، كان سعيدًا في حياته مع «جودي» وظن أن سعادته ستدوم حتى بعد الزواج؛ إذ كانت «جودي» مستعدة لتقبُّل أم وشقيقة لها، وكان بيتهم واسعًا له ثلاث غرف نوم جميلة، وغرفتان للجلوس والاستقبال تطل إحداهما على الحديقة الكبيرة والأخرى على المنحدر الأخضر. ولم تبق معهم فترة طويلة إذ استأجرت شقة في «لندن» غادرها مالكها للعمل في الخارج مدة عام. وارتجف صوت «بيل» متسائلاً:

– هل أنتِ جادة فيما تقولينه يا «جودي»؟ هل تريدين مغادرة المكان فعلاً؟

– إنني لا أريد مغادرة البيت يا عزيزي، لكن يجب عليَّ ذلك، وأنت تفهم طبيعة الأمر جيدًا، إذا غادرت فستتاح لك ولـ «أليس» فرصة أفضل لتحسين حياتكما.

www.rewity.com

– هل تصدقين ما تقولينه فعلاً؟ تنهدت «جودي» وتحاشت الحديث عن زوجة والدها بهذه الطريقة، إذ إنها كانت تأمل أن يتحسن الوضع بين الزوجين بعد مغادرتها البيت.

– إن الوضع صعب بالنسبة إلينا جميعًا... يجب أن أذهب يا والدي.

أومأ برأسه إيجابا:

– سآتي لزيارتك بانتظام يا عزيزتي... وأنت هل تأتين لزيارتي أحيانًا؟

– بالطبع، كما تفعل «حنة».

– «حنة»؟ (ردّد والدها مكتئبًا) يبدو أنها تحظى بكل شيء بينما حرمت أنت من كل شيء... هذا ليس عدلاً يا «جودي». قالت «جودي»:

– إنني لا أحسدها أبدًا. وبدت الصراحة واضحة في عينيها الجميلتين واستطردت قائلة:

– تمثل «حنة» النجاح بينما أمثل أنا الفشل، ويجب علينا الإقرار بذلك.

نظر إليها والدها متفحصًا، ثم نهض واقفًا واقترب منها واضعًا يديه على كتفيها وقال:

– لا يزال الطريق طويلاً أمامك قبل أن تقري بفشلك في الحياة، ثم بأي المقاييس تقدرين نجاحك أو فشلك؟ أهو المال أم الشهرة؟ وهز رأسه نافيًا:

– كلا يا عزيزتي، يتحقق النجاح في الحياة إذا ما استطعنا إدخال السعادة إلى قلوب الآخرين. واستطعت أنت إشعاري بالسعادة فترة طويلة من حياتي، ومهما حدث الآن فإني لا زلت أملك ذكرياتي الجميلة.

وجمدت «جودي» في مكانها إذ فتح الباب فجأة، ولم يسمع الاثنان خطوات «أليس» على السلّم. فجذب «بيل» يديه عن كتفي «جودي»

وابتعدت «جودي» عنه بشكل لا إرادي، بينما كان الغضب واضحًا على وجه «أليس».

– هل أفترض أنكما تتحدثان عني؟ وخرق صوتها الأجش هدوء الغرفة الوردية الجميلة، غرفة «جودي» المعدّة لها منذ زمن لم تعد تذكره.

– هل تخططان للتخلص مني؟ حسنًا، في مقدوركما التآمر حتى يوم القيامة، ولن تستطيعا إبعادي عن هذا البيت، إنه بيتي وإذا لم يعجبكما الحال تستطيعان مغادرته. ثم أغلقت الباب وراءها بعنف تاركة «جودي» مرتعشة ووالدها شاحبًا من شدة غضبه.

– نغادر البيت؟ هل تعتقد حقًا أن في مقدورها الاستيلاء على بيتنا؟ وتوسلت «جودي» والدموع تملأ عينيها.

– اذهب إليها، أنا سبب المتاعب في البيت يا والدي، وكلما أسرعت بمغادرة البيت، كان الأمر أفضل لنا. أومأ برأسه ثم هز كتفيه استسلامًا وترك الغرفة. قررت «جودي» حسم وضعها بأسرع ما يمكن، وقضت ساعات غدائها في الأيام المقبلة باحثة عن غرفة في «دورجستر» حيث كانت تعمل، إلا أنها بدأت تفقد الأمل عند نهاية الأسبوع، وعند انقضاء أسبوع آخر دون تحقيق مأربها فقدت أملها نهائيًا. كانت الغرف المعروضة للإيجار غالية الثمن، وما كان في مقدورها دفع إيجارها إضافة إلى المصاريف الأخرى، وكلما أخبرت والدها بفشلها في سعيها بدت على وجهه دلائل الراحة وخيبة الأمل في آن واحد؛ إذ اختلطت مشاعره في انتظار مغادرتها... ذات مساء جلست «جودي» ووالدها وحدهما بعد أن ذهبت «أليس» لزيارة شقيقتها في «بريدبورت»، وساد بينهما جو من الألفة ذكّرهما بأيامهما السعيدة معًا.

– يجب أن أترك البيت، أعرف أننا نشعر بالأسف لفكرة الفراق إلا أنه

أفضل للجميع، وإذا ما تركتكما معًا فأرجو أن تبذل يا والدي جهدك لإصلاح الوضع؛ لأنكما لا تزالان في عمر الشباب وعليكما التفكير في حياتكما معًا.

– لكنك قلت إنك فتشت المدينة بكاملها.

– طرأت لي فكرة أخرى، سأبحث عن عمل كمديرة بيت لعجوز أو أرملة، ويعرض مع هذا العمل توفير السكن لمديرة البيت، سألقي نظرة إلى الصحف المحلية وحالما أجد إعلانا عن وظيفة شاغرة سأتقدم بطلبي.

بقي والدها صامتًا لفترة طويلة ثم علّق بحزن:

– ستقول «أليس» إنك فاشلة تماما إذا ما قبلت عملا كهذا، إنه عمل مماثل للخدمة في البيوت. شحب وجه «جودي» إذ إنها ليست الوحيدة التي فكرت في نفسها كفاشلة في الحياة، بل لابد من أن «أليس» وصفتها بذلك أيضًا. أجابته بهدوء:

– سيكون عملاً شريفًا، ولا يدعو للخجل.

ثم نظرت إلى الساعة في أثناء حديثها، ستأتي «حنة» لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معهم، إذ اتصلت بـ «جودي» صباح اليوم، ورغم أن «جودي» أخبرت زوجة والدها بذلك، إلا أنها لم تلغِ زيارتها لشقيقتها ولاحظت «جودي» صمت والدها فواصلت:

– ستصل هنا حوالي الساعة الثامنة، حبذا لو أن «أليس» لم تخرج إذ ليس في نيتي تسلية «حنة».

– أظن أن «أليس» لم تبق هنا؛ لأنها غير واثقة بمجيء «حنة»، خاصة بعد أن نقضت وعدها بالمجيء عدة مرات من قبل، وأنصحك بعدم إعداد الفطائر والشاي من أجلها كما اعتدتِ ذلك في كل مرة. إلا أن «حنة» جاءت واعتذر «بيل» عن عدم البقاء في المنزل بحجة الذهاب لزيارة صديق

له. وإذ أغلق باب الدار قالت «حنة» مخاطبة «جودي»:

– إن والدك لا يطيق وجودي لا أعرف لماذا اختارته والدتي زوجًا لها.

وحركت يدها بأناقة دلّت عليها أظافرها، وانتشرت رائحة عطرها الغالي الثمن في كل مكان، وأضاف حضورها تألقًا على جو البيت الدافئ بناره الملتهبة، وجدرانه ونوافذه المنخفضة ذات الستائر المزهرة. وأضافت «حنة» بلهجة تأكيد:

– كان لوالدتي ذوق أفضل في السابق، وكان عليها اختيار رجل في مركز والدي الذي كان معماريًا. فاحمرّ وجه «جودي» وحاولت جهدها الحفاظ على هدوئها قائلة بعد أن جذبت رسالة وضعتها في جرور الخزانة الجانبية:

– وصلتك هذه الرسالة في بريد الظهيرة، وكانت والدتك على وشك إرسالها إليك إلا أنها قررت إبقاءها عندما علمت بمجيئك. كانت مرسلة إلى الآنسة «جودي لانكهام»، إلا أن «جودي» وزوجة والدها كانتا تعلمان جيدًا أنها موجهة إلى «حنة»، حيث تفاخرت الأم بشجاعة ابنتها في إنقاذ طفل يوناني من الغرق، وأخبرت «جودي» بأن عم الطفل الغني ومالك السفن أصبح بمرور الوقت صديقًا لابنتها. ناولت «جودي» الرسالة لـ «حنة»، بعد أن لاحظت جمال خط العنوان الدال على غنى شخصية المرسل.

– شكرًا. وارتخت «حنة» في مقعدها، مادة ساقيها الجميلتين، ثم بدأت تفتح المظروف بحركة تدل على الضجر.

– ماذا تريدين أن تشربي، الشاي أم القهوة؟

– فنجان قهوة رجاءً.

وسحبت الرسالة ثم بدأت قراءتها، بينما ذهبت «جودي» إلى المطبخ

www.rewity.com

لشغل نفسها بإعداد الفطائر والقهوة، كانت الساعة الثامنة والنصف، وساءلت «جودي» نفسها عن كيفية الحديث مع «حنة» بلهجة ودية طوال الساعتين المقبلتين، وإذ ألقت نظرة سريعة على وجهها في المرآة لاحظت تقطيبة جبينها فاسترخت متخلصة من تأثير حضور «حنة» المربك، وكانت النتيجة رسم ابتسامة على وجهها الجميل ببشرته الوردية الناعمة وجبينها الدال على الذكاء، وكانت «جودي» ذات أنف صغير وشفتين ممتلئتين، وعينين عسليتين، ورغم انجذاب زملائها نحوها في مكان العمل، إلا أن «جودي» لم تلتق بعد برجل تعتبره صديقًا لها، هذا إذا تركت جانبًا أي حلم عاطفي يراودها. طالبها والدها تكرارًا أن تخرج للقاء أصدقائها أكثر. إلا أن ذلك يتطلب بعض المال، وإذ كان دخلها لا يكفي لغير الضروريات لم تستطع غير قضاء معظم وقت فراغها في المنزل.

جاءت إلى غرفة الجلوس حاملة الصينية، فلاحظت الرسالة موضوعة إلى جانب «حنة» وما إن وضعت الصينية فوق المنضدة الصغيرة حتى قالت «حنة»:

- في مقدورك رمي الرسالة في سلة المهملات بعد أن تقرئيها.

- أقرؤها، هل تريدين مني قراءتها؟ وارتسمت على شفتي «حنة» ابتسامة انتصار قبل أن تجيبها:

- إنها من العجب اليوناني «فيداس تيرون»، علمت منذ فترة قصيرة أنه مليونير ويريد الزواج بي. ابتلعت «جودي» لعابها بصعوبة، مليونير... أراد الزواج بـ «حنة» النجاح والفشل... نعم، كما قال والد «جودي»: حازت «حنة» كل شيء بينما هي، «جودي»، لا تملك شيئًا.

- ستسر والدتك للخبر. وفكرت «جودي» في أنها ستستغل الفرصة

لتذكّرها بحسن حظ ابنتها.

- بالطبع، ألن يسر والدك فيما لو عرض عليك مليونير الزواج؟ تجاهلت «جودي» السؤال وانحنت لتصب القهوة.

- لمَ تريدين رمي الرسالة؟ غالبًا يحتفظ الإنسان بشيء كهذا.

- لماذا؟

- لابد من أن لها قيمة عاطفية. أجابت «جودي» بذلك، بينما أطلقت «حنة» ضحكة ساخرة. وقالت:

- إنك فتاة قروية ساذجة، قيمة عاطفية! وانطلقت تضحك ثانية قائلة:

- اقرئيها... ثم ارميها في النار... تركت «جودي» الرسالة في مكانها واكتفت بمناولتها القهوة. سألت «جودي»:

- هل ستتزوجينه؟ ومدت يدها لتناولها صحن الفطائر. وأجابت:

- بالطبع، لكن فيما بعد، بعد انتهائي من الفيلم.

- وهل سيوافق على الانتظار؟

- لن أسأله الموافقة، إن لشهرتي المكان الأول، وأفترض مسبقا قبوله بذلك... ثم تناولت إحدى الفطائر، وتفحصتها قبل أكلها.

- يرغب الرجال عادة في أن يكونوا في المكان الأول بالنسبة إلى زوجاتهم. وبدا وكأن «حنة» تتمتع بسماع ما اعتبرته كلام امرأة عادية:

- أفترض أنك ستفكرين جيدًا قبل أن تضعي زوجك في المكان الثاني بعد عملك؟

- إذا أردت السعادة يا «حنة» فعليك الاهتمام بزوجك أولا.

- تلك فكرة قديمة يا «جودي»، لا يضع الرجال زوجاتهم في المكان الأول عادة، بل غالبا ما تأتي المرأة بالنسبة إليهم في المكان الثاني بعد عملهم.

www.rewity.com

– ما الداعي إذًا للقتال والمطالبة بالمساواة إذا لم تحققي عمليًا ما فزت به؟ لا توجد في «اليونان» المساواة ذاتها، الرجال هم أصحاب السلطة هناك.

– هراء! في حالتي، سيعيش «فيداس» في المكان الذي أريده أنا، ولن يكون ذلك بالتأكيد في «اليونان»، لذلك إذا ما عشنا في «إنجلترا» فعليه أن يتبع أسلوب الحياة الإنجليزية... وهذا يعني معاملة زوجته معاملة الند.

– لابد من أنه رجل ضعيف الشخصية ليدعك تفعلين كل ما تريدينه.

وسمحت «جودي» لنفسها بإلقاء نظرة سريعة إلى خط كاتب الرسالة. لابد من أنه رجل قوي الشخصية ليكتب بتلك الطريقة، ورأت توقيعه في نهاية الرسالة «فيداس تي».

– يبدو لي من الغرابة بمكان أن يعرض مليونير الزواج بفتاة لم يلتق بها.

– يجب أن أعترف بأنني أشاطرك الرأي، إنها حقيقة محيرة. هناك غموض يحيط بالمسألة كلها.

– غموض؟ ماذا تعنين؟ والتقطت «جودي» الرسالة من فوق الكنبة في حين قالت «حنة»:

– أشعر مثلك، إن من يعرض الزواج بفتاة بالمراسلة لابد من أن يكون ضعيفًا، إنه لم يطلب مني حتى إرسال صورتي.

– إلا أنه يعرف من أنتِ... أليس كذلك؟ ويعرف مهنتك كممثلة. هزت «حنة» رأسها نفيًا:

– لم أذكر ذلك أبدًا، كانت رسائلي له قصيرة ومختصرة، إذ لم أعرف فائدة المراسلة معه في البداية، إلا أنني توصلت من خلال رسائله إلى

رسم صورة له بعيدة تمامًا عن ضعف الشخصية، بل بالعكس يبدو قويًا وصارمًا ذا عقل تجاري، وأخبرني صديق له بأنه مليونير ذو إرادة لا تلين، كما أنه وسيم جدًا من ناحية المظهر. وابتسمت «حنة» ثم تناولت فطيرة أخرى من الصحن الموضوع أمامها وتابعت قائلة:

– هل أخبرتك بقصة بدء المراسلة فيما بيننا من قبل؟

– كلا، بل إن والدتك اكتفت بذكر إنقاذك لحياة ابن أخيه.

– لم يكن الحادث خطيرًا، تعرّض الصبي لحادث صغير وأسرعت لمساعدته، وكما تعلمين أنا ماهرة جدًا في السباحة وحزت العديد من الميداليات، لذلك لم يكن ما حدث بطوليًا.

تحدثت «حنة» عن الحادث ببساطة وأيقنت «جودي» بصدقها، إذ أصرّت – رغم إدعاءاتها في مجالات أخرى – على ذكر الحقيقة هذه المرة.

– كان والدا الصبي يقضيان عطلتهما في «الولايات المتحدة» وبقي الصبي تحت رعاية «فيداس»، كانت المربية حاضرة قرب الساحل إلا أنها أهملت واجبها، لذلك تعرّض الصبي للوقوع في بعض المتاعب بعد أن ابتعد عن الساحل قليلا، وتستطيعين أن تتصوري مدى عرفان الجميل الذي شعر به العم، وحاول الاتصال بي شخصيًا قبل مغادرتي الجزيرة...

– هل كانت جزيرة «كورفو» كما ذكرت والدتك؟

– نعم، يعيش «فيداس» هناك في فيلا رائعة، ولأتمم القصة حاول الاتصال بي، ورغم أنني تركت اسمي وعنوان الفندق مع المربية، إلا أنني لم أبقَ فترة طويلة في «كورفو»، إذ انتقلت مع مجموعة السفر السياحية إلى «أثينا» بعد أيام. إلا أن إحدى رسائله في انتظاري، ربما تتذكرين ذلك؟

أومأت «جودي» برأسها إلا أنها سألت «حنة» عن عدم إرساله الرسالة

WWW.REWITY.COM

إلى عنوانها في «لندن»:

– كنت تعيشين في «لندن» عند بدء الرحلة؟

– نعم، لكن ليس في أثناء حجزي للرحلة، لذلك أعطيت شركة السفريات هذا العنوان، فواصل «فيداس» الكتابة عليه. رشفت «جودي» قهوتها ببطء.

– لم لم تبلغيه بتغيير عنوانك؟ ولم تدرك «جودي» سبب سؤالها ذلك، إذ لم يكن العنوان الذي استخدمه «فيداس» لإرسال رسائله مهمًا في شيء.

– لم أزعج نفسي بتلك المسألة. واسترخت «حنة» في جلستها بعد أن أعادت كوب القهوة إلى الصينية واستطردت تقول:

– وكما قلت من قبل، لم أدرك فائدة المراسلة معه في البداية.

– إلا أنك ربحت في النهاية... مليونيرًا وهو... حلم كل فتاة... قالت «جودي» ذلك ناظرة إلى الرسالة بعينين متفحصتين.

– هل تشعرين بالحسد يا «جودي»؟ ونظرت نحوها بشفقة.

بقيت «جودي» ممسكة بالرسالة دون قراءتها وفكرت في المستقبل، ربما ستحتل وظيفة مديرة منزل أو قد تعثر على غرفة صغيرة حيث تستطيع مواصلة عملها ذاته، إلا أن وضعها – وفي أحسن الأحوال – لن يتغير كثيرًا بل ستبقى محرومة من الرخاء وقضاء رحلة ممتعة، في «كورفو» مثلاً. قالت أخيرا لـ «حنة» بعد ملاحظتها لنفاد صبرها:

– يجب أن أقر بأنني سأكون مسرورة جدًا إذا ما عرض عليّ مليونير الزواج. فتساءلت «حنة» باهتمام:

– رغم غموض العرض؟

– هل أنت واثقة بوجود غموض ما يحيط بالعرض؟

– أشعر بذلك، اقرئي الرسالة. فقرأت «جودي» نص الرسالة.

عزيزتي «جودي».

«شكرًا على جوابك لرسالتي، التي شكرتك فيها مرة أخرى على إنقاذك حياة ابن أخي الصغير، إلا أن مأساة أكبر حدثت في الآونة الأخيرة وغيرت مجرى حياتنا، إذ قتل شقيقي وزوجته وابنهما في حادث قطار، لابد من أنكِ قرأتِ عنه في الصحف الإنجليزية. إنني وحيد تمامًا الآن؛ إذ قُتل في أثناء الحادث كل أفراد عائلتي.

عزيزتي:

نحن لا نعرف بعضنا إطلاقًا إلا أنني أعرض عليك الزواج؛ لأنني علمت من رسائلك أنك فتاة لطيفة، كما أنك شجاعة ولا زلت أشعر بالامتنان نحوك لإنقاذ حياة «دافوس» كما قلت في رسالتي الأولى، كان عليّ التوجه إلى «أثينا» في ذلك اليوم، في رحلة عمل، وعلى أية حال ما كان في مقدوري البقاء إلى جانب الطفل طوال حياتي؛ ولو حدث له شيء في أثناء وجوده تحت رعايتي، لما كان في مستطاعي مواجهة أخي وزوجته عند عودتهما إلى «كورفو». قد تظنين أنني أبالغ في امتناني إلا أنني أود جذب انتباهك إلى أن هذا أسلوبنا في «اليونان»، إذ نشعر بالامتنان أكثر من أي شعب آخر، ونحاول دائمًا تسديد ديننا بكامله حين تحين الفرصة، إذا ما وجدنا أنفسنا مدينين بدين كبير مماثل لما أنا مدين به لك، لهذا السبب أعرض عليك الزواج، أرجو أن تبلغيني جوابك بأسرع وقت حالما تتخذين قرارك».

المخلص

«فيداس تي»

بقيت «جودي» ممسكة بالرسالة فترة طويلة قبل أن تتكلم، كانت الرسالة

www.rewity.com

حزينة إلا أن «جودي» أحست بشيء آخر، كان ثمّ نوع من ألم غريب يطغى على شخصية الرجل، ولم يعبر عنه بكلماته.

– إنها مأساة كبيرة... أن يفقد عائلته بكاملها. رفعت «جودي» رأسها وحاولت جهدها السيطرة على دموعها لئلا تنهمر أمام «حنة»، وتذكرت هدوء هذه في أثناء اطلاعها على محتوى الرسالة، ولا مبالاتها حين طلبت من «جودي» قراءتها وحرقها بعد ذلك، كيف تستطيع ذلك حيال حزن الرجل وألمه؟

– «حنة»، إنني حزينة رغم عدم معرفتي بالرجل... وأعادت «جودي» قراءة الرسالة مرة أخرى، إلا أنها لم تجد غير صورة رجل له ملامح يونانية يحيط به الحزن ويعاني ألمًا لا حدّ له...

– لا أعرفه... إلا أنني أفهم مشاعره، يا له من أمر غريب! ضحكت «حنة» ضحكة قاسية دفعت «جودي» للارتجاف، ثم نظرت بعيدًا، كما لو أرادت التخلص من تأثير ضحكتها، وملامحها الباردة اللامبالية.

– يا لك من فتاة غريبة يا «جودي»! أن تذرفي الدموع من أجل أناس لا تعرفينهم... ثم إنهم موتى... موتى... يا لك من فتاة ضعيفة! هل تعلمين أن هناك ملايين الناس يموتون كل يوم؟ هل ستبكين من أجل كل الموتى؟ لم تنطق «جودي» بشيء إذ كانت مشغولة بمسح دموعها.

– كلا، إنني أبكي من أجل الرجل... «فيداس» ألا تستطيعين إدراك حزنه العظيم؟ ثم ألا تلاحظين شيئًا آخر؟ شيء لا علاقة له بوفاة أفراد عائلته؟ قطبت «حنة» جبينها، ونظرت إلى «جودي» كما لو كانت مصابة بمسّ.

– ما الذي تتحدثين عنه؟

فتحت «جودي» فمها لتقول شيئا، إلا أنها اكتفت بهز رأسها، لم

تستطع أن توضح مشاعرها، كل ما علمته هو أنها أسفت لقراءة الرسالة، وأدركت أنها ستعاني الاكتئاب فترة طويلة بسببها، لمَ انتابها الحزن على رجل لا تعرفه؟ قالت أخيرًا رغم أنها أرادت اللجوء إلى الصمت:

– إنه وحيد تمامًا.

– ثم ماذا؟ العالم مكتظ بالوحيدين. أحست «جودي» بأن «فيداس» مخطئ باختياره للفتاة التي سيتزوجها، وتذكرت جملته: «أعرف من رسالتك أنك فتاة لطيفة». وتخيلت «جودي» أن «حنة» كاتبة رسائل ساحرة خدعت «فيداس» بسهولة، قالت أخيرًا:

– هناك أمر غامض كما توقعت.

– هل تظنين ذلك فعلا؟ هل هناك ما يثبت ظنك؟

هزت «جودي» رأسها باكتئاب، وأحست كما لو أنها تعرف الرجل... كما لو أن الرسالة كانت موجهة إليها وليس إلى «حنة»... ونفد صبر «جودي» فانتابها القلق لأفكارها الغريبة... ما الذي جرى لها لتتصرف بهذه الطريقة؟ لا علاقة لـ «فيداس تيرون» بها... لا علاقة له بها إطلاقا.

– لمَ يعرض الزواج؟ لمَ لا يعرض عليكِ مكافأة مادية مثلا؟ لمَ الزواج يا «حنة» لماذا؟ وتنهدت، بينما قالت «حنة»:

– هذا هو الأمر الغامض يا «جودي»... لمَ الزواج؟ فأومأت «جودي» بطريقة لا إرادية.

– نعم، هذا هو الأمر الغامض.

* * * * *

www.rewity.com

- 2 -

هل للغموض علاقة بالألم الذي أحست به «جودي» عند قراءتها رسالة «فيداس»؟ طالما راودها السؤال ذاته مرات ومرات في الأيام التالية، وحاولت في الوقت نفسه نسيان الموضوع مقنعة نفسها بأن لديها ما يكفيها من المتاعب دون أن تحتاج إلى القلق من أجل رجل مجهول يعيش في بلاد لم تزرها من قبل، رجل بدا وكأن همّه الأول هو عرض الزواج على «حنة».

استطاعت أخيرًا التغلب على عواطفها والتركيز من جديد في محاولة العثور على مكان تعيش فيه، وأصبحت المشكلة أكثر إلحاحا بعد أن قضت «حنة» عطلة نهاية الأسبوع معهم واختلقت والدتها سببا آخر للشجار بعد مغادرتها وتفاقم الأمر إلى حد طلبت فيه «أليس» من «جودي» مغادرة البيت، لم يكن والدها حاضرًا ولم تذكر له «جودي» شيئا فيما بعد، مما تركها تعاني وحدها مستهلكة طاقتها في التفكير في حل ما.

تباهت «أليس» برغبة المليونير في الزواج بابنتها وكررت قصة نجاحها في الحصول على دور رئيسي في الفيلم ونجاحها في حياتها، وقارنت بينها وبين فشل «جودي» في كل شيء وأخبرتها بأنها ستكون محظوظة في حياتها لو تلقت ذات مرة عرض زواج من عامل. لم يكن هناك سبب لذلك التباهي، إذ كانت «جودي» جميلة جدًا إلا أن «أليس» لم تتوقف عن البحث عن دافع يستفزها ويؤلمها. غادرت «جودي» غرفة الجلوس لتنعزل في غرفتها متأملة وضعها وفشلها.

وعلى الرغم من بذلها جهدًا خارقًا في تفادي الشجار مع زوجة والدها، إلا أنها فشلت في مساعيها، وازداد الأمر سوءًا حين بدأ والدها يغادر

المنزل مساء كل يوم لقضاء الوقت في المقهى المجاور، مما دفعه إلى إعطاء مصروف أقل لـ «أليس» ليستطيع البقاء خارج المنزل أطول فترة ممكنة، وهكذا وجدت «أليس» سببًا جديدًا للنزاع. ولم تستطع «جودي» العثور على غرفة أو عمل أو أي شيء يساعدها على حل مشكلة بقائها في البيت، فقررت في عطلة نهاية الأسبوع الذهاب لزيارة «حنة» في «لندن»، وهكذا صرفت نقودًا ادخرتها لشراء زوج جديد من الأحذية.

ماذا سيحدث لو أن «حنة» لم تكن موجودة؟ لم تخطر الفكرة على بال «جودي» إلا بعد جلوسها في القطار. خاصة أنها حاولت الاتصال بها تليفونيًا مرتين ولم يجبها أحد. وسألت نفسها مرارًا... لمَ أنا ذاهبة إلى هناك؟ على أية حال إننا لسنا صديقتين ولن أشعر بالراحة معها، وسأعود شاعرة بالتعاسة أكثر من السابق. كانت «حنة» موجودة في شقتها، ودهشت حين فتحت الباب إلا أنها دعت «جودي» للدخول وقادتها إلى غرفة الجلوس. سألتها:

- ماذا حدث؟ ولم تحاول «جودي» إخفاء شيء. فأخبرتها باستحالة العيش مع والدتها، وبأنها تحاول العثور على غرفة كي تستطيع مغادرة المنزل. تنهدت «حنة» بنفاد صبر وقالت:

- ناوليني معطفك... ثم واصلت بعد أن علقت المعطف:

- ما كان ينبغي لها الزواج إطلاقًا، إنهما لا يتناسبان، أظن أن والدتي قلقة لقلة المال، وليس هناك عامل يقضي على سعادة الزوجين أكثر من الفقر، وأنا أومن بصحة المثل القديم القائل «حين يدخل الفقر من الباب يهرب الحب من الشباك» أنا سعيدة لأنني لم أعانِ الفقر. وأشارت إلى «جودي» طالبة منها الجلوس ثم قالت:

- ما الذي تودين شربه؟ وقبلت «جودي» الدعوة بالجلوس ثم طلبت

كوب شاي. كانت جائعة إلا أنها ظنت أن «حنة» تناولت طعامها، لذلك لم تذكر شيئًا عن الطعام.

– فكرت في أنك قد تسمحين لي بقضاء الليلة هنا إذا لم يكن لديك ما يشغلك.

هزت «حنة» كتفيها ببرود كادت أن تدفع «جودي» للقول بأنها ستتناول الشاي وتغادر المكان. إلا أنها لم تستطع تحمّل فكرة العودة إلى البيت لمواجهة «أليس» وغضبها الشديد.

– تستطيعين البقاء إذا رغبت في ذلك، لكن حاولي ألا تجعلي ذلك عادة لك؛ إذ إنني غالبًا ما أكون مشغولة أو قد أدعو أحد الأصدقاء لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معي، وفي الشقة غرفة نوم واحدة احتياطية، لذلك لن يكون هناك مكان لك للنوم... أعني في حالة وجود مدعو آخر.

غادرت «حنة» الغرفة إلى المطبخ ورفعت «جودي» يديها لتلمس خدها، وأحست بالغباء لقرارها بالمجيء. ربما كان من الأفضل البقاء في غرفتها طوال يومي العطلة، وأوضحت «حنة» بعد عودتها من المطبخ حاملة صينية الشاي قائلة:

– على أية حال، سأكون مستعدة لمغادرة الشقة بعد ثلاثة أسابيع إذ سأتوجه إلى الجزيرة. فقالت «جودي» بعد تردّد لم تفهم هي سببه:

– هل كتبت رد الرسالة؟

– بالطبع.

– هل قبلت عرضه بالزواج؟

– بالطبع، ما الذي توقعتِه؟ رطبت «جودي» شفتيها. ذلك الرجل المسكين، إنه لا يعرف حقيقة شخصية «حنة».

– هل سينتظر حتى انتهائك من أداء الدور؟

– لم أذكر شيئًا عن الفيلم.

– كلا؟ لماذا؟ قطبت «حنة» جبينها مجيبة:

– ذلك لغز آخر؛ إذ إنني لم أذكر له شيئًا عن حقيقة مهنتي، كما لم تكن هناك مناسبة تستدعي ذلك خاصة أن رسائلنا المتبادلة لا يزيد عددها على ست رسائل.

– ست رسائل؟ وتعجبت «جودي» إذ إن «أليس» تحدثت عن علاقة حميمة بين ابنتها والمليونير.

– كتب لي ثلاث رسائل وأجبته أنا عن كل واحدة منها؛ لذلك لم أذكر شيئًا عن عملي، إنني لا أريد فقده، خاصة أن لديَّ إحساسًا بأنه لن يرغب في الزواج بممثلة، نعم ذلك لغز آخر، لا أستطيع العثور على سبب مقنع يمنعني من ذكر مهنتي له، وأفكر أحيانا في أنه عرض الزواج وكل ما عليّ عمله هو إخباره بالحقيقة ويستطيع سحب العرض لو لم يعجبه الوضع. ذكّرتها «جودي» بما قالته قبل لحظات:

– لكنك قلت إنك لا تريدين فقده.

– بالطبع لا أريد ذلك؛ لذلك سأتظاهر بوجود بعض الأسباب الخاصة المانعة لزواجنا مباشرة، وسأطلب منه تأجيل الزواج فترة معينة. تأملت «جودي» المسألة كلها... كان هناك شيء محيّر بصدد «فيداس» أولا. كان من المستحيل أن تصدق بأن رجلا له مركز «فيداس» سيتزوج فتاة كتب لها ثلاث رسائل فقط، فتاة لم يلتق بها ولم يطلب حتى رؤية صورتها. منطقيًا لم يكن هناك ما يدعوه لاتخاذ تلك الخطوة. إلا أن الرسالة وعرضه الزواج أمران حقيقيان لا شك فيهما...

– هل ستتزوجينه دون أن تلتقي به؟

– سأراه وإذا لم أرغب فيه سأغيّر رأيي.

www.rewity.com

– هل هناك احتمال للرفض؟

– لابد من أن يكون بشعًا جدًا لكي أرفضه... مليونير! لا تستطيع أية فتاة نبذ عرضه في عجلة.

– هل ستتزوجينه من أجل نقوده فقط؟

– بالطبع، لابد من أنه يعرف ذلك، فلا تحتاجين إلى أن تشعري بالأسف من أجله.

– لا أستطيع حتى الآن فهم سبب عرضه للزواج... اكتفت «حنة» بهز كتفيها بلامبالاة وكأنها تعبت من ذلك السؤال بالذات، وقالت:

– لابد من أن هناك سببًا جيدًا سيوضحه لي حين نلتقي.

– كان في مقدوره توضيح السبب في الرسالة.

– ربما كان سببًا فضّل توضيحه لي شخصيًا... والآن يا «جودي»، حاولي نسيان الموضوع رجاء... إنني لست قلقة... فلمَ تقلقين أنت؟ إلا أن «جودي» اكتشفت السبب بعد فترة قصيرة. كانت «جودي» جالسة مع «حنة» عصر اليوم التالي حين دق جرس الباب ففتحت «حنة» الباب وقدمت مع شاب في الثلاثين من عمره، وبعد أن عرفته إلى «جودي» مضت «حنة» لإعداد كوب شاي له. سألها «جون بين» ناظرًا إليها بإعجاب:

– هل اسمك «جودي» أيضًا؟ كان له وجه واضح الملامح أُعجبت به «جودي». ثم قال:

– كيف تتهجّين اسمك؟ فأخبرته. ورغم دهشته الشديدة لم تحاول «جودي» توضيح حقيقة تشابه الاسمين وكيف استخدمت «حنة» اسمها. وإذ لم يتطرق الحديث إلى اسم العائلة اكتفت «جودي» بذلك، فقال «جون»:

– أليست «جودي» محظوظة؟ أعني لاختيارها نجمة في فيلم «فانتازيا الغسق»؟

– بلى، حقًا.

– إنها ضربة حظ يمكن أن تؤدي إلى الشهرة الدائمة. ثم نظر إلى الباب وهمس:

– ما لم ترتكب عملا أحمق.

– أحمق؟ تردّد لحظة قبل الإجابة:

– إنك قريبة لها لذلك أستطيع الثقة بك، هل تعرفين شيئًا عن هذا الشخص «فيداس»؟

– نعم.

– قد يغريها العرض، هل ذكرت لك شيئا عن نيتها بصدد الزواج به أو رفضه؟

– أشارت إلى أنها ستتزوجه بعد انتهاء تصوير الفيلم.

– متى؟ صمت ثم حدّق للحظات وقال:

– إذن... إنها لا تعرف القصة كلها... هذا واضح، لابد من أنه لم يذكر لها سبب رغبته في الزواج. تساءلت «جودي» بإلحاح ملقية نظرة سريعة إلى الباب:

– هل تعرف «فيداس»؟ فهز رأسه قائلا:

– ليس شخصيًا، لكن صديقًا لي يعرفه وأخبرني بأنه مليونير فأخبرت «جودي» بدوري... هل علمت بذلك؟

– نعم... تحدثت منذ قليل عن السبب الذي يدفعه إلى الزواج بها.

– ربما يجب ألا أخبرك خاصة بأن «جودي» نفسها لا تعرف بالموضوع. ألحت عليه متسائلة:

www.rewity.com

– أخبرني رجاء وأعدك ألاّ أنطق حرفًا لـ «جودي».

– ليس لـ «فيداس تيرون» أقارب...

– أعرف ذلك.

– أعني ليس له أقارب بالدم.

– ما علاقة هذا بالزواج؟

– بقيت له فترة ستة أشهر يعيشها فقط؛ لذلك يرغب في الزواج بسرعة، إنه يحاول بذلك تجنب ترك أمواله وما يلي ذلك من مشاكل وخلافات بين بقية أقاربه البعيدين، والذين لا يعرفهم بشكل جيد...

– ستة أشهر فقط... سمعت «جودي» بقية ما قاله «جون» إلا أن فترة ستة أشهر علقت بذهنها حيث اكتشفت سر الحزن الخفي في رسالة الرجل. ذلك هو الشيء الآخر الذي أحست به «جودي» ولم تعرف ماهيّته من قبل. سيواجه الموت بعد ستة أشهر وهو في الواحدة والثلاثين من عمره فقط كما أخبرتها «حنة»، وانهمرت دموعها كما حدث لها في المرة الأولى ثم تمالكت نفسها وسألت:

– ما هو مرضه؟

– مرض نادر يصيب العمود الفقاري ولا علاج له بعد، ولا يزال البحث مستمرًا لمعرفة سره إلا أنه مرض مستعص يصاب به عادة سكان جزر الشرق الأقصى، والغريب في الأمر أن «فيداس» أصيب به بعد توجّهه لفتح مستشفى تبرع بكلفة بنائه للمصابين بالمرض ذاته.

– سمعت أنه ولفترة قصيرة كان له أخ.

– نعم وابن أخ أيضًا ولم يكن هناك ما يدعو إلى القلق، إذ إنهما الوريثان الشرعيان له.

– يبدو أنك تعرف الكثير عنه؟

– كما أخبرتك لي صديق على معرفة بشخص له علاقة بعمل «فيداس» وكل المعلومات التي ذكرتها حصلت عليها عن طريقه، إنني سعيد لجهل «جودي» بحقيقة بقائه حيًا ستة أشهر فقط... إذ لو علمت لتزوجت به، وهذا يعني نبذها فرصة أن تكون ممثلة عظيمة.

– يبدو أن هناك سببًا يدفعك إلى منعها من رفض تلك الفرصة؟

– هل تسألينني إذا ما كنت أحبّها؟ الجواب... كلا، مصلحتي الوحيدة مادية حيث استثمرت بعض المال في الفيلم ويهمّني نجاحه... وتذكّري أنك وعدت بعدم إخبار «جودي».

– لن أذكر حرفًا لها... كانت «جودي» تفكر في «فيداس»، ربما تسلّم رسالة «حنة» الآن، التي تخبره فيها بأنها لن تستطيع الزواج به إلا بعد مضي عام... ما الذي سيفعله؟ هل سيبحث عن فتاة أخرى؟ تساءلت «جودي» ناظرة إلى «جون» من خلال عبراتها:

– هل لديك أية فكرة عن مظهره الخارجي؟

– إنه طويل القامة، وسيم وله بشرة داكنة مثل بقية اليونانيين بالطبع، ولا يدل مظهره الخارجي على مرضه إطلاقًا، بل يبدو وكأنه مثال الصحة، كما ذكر الصديق، يبدو أن للمرض تأثيره البطيء والمتسارع في المرحلة الأخيرة من حياة المريض فقط، ثم تحلّ النهاية بشكل مفاجئ.

– يا له من أمر مخيف... أن تعرف أنك على وشك الوفاة!

– أظن أنني لو كنت محلّه لمتُّ لحظة معرفتي الحقيقة، فلن أطيق الإنهاك العقلي المترتب على ترقّب الموت مدة ستة شهور.

– لابد من أن الاستمرار في الحياة العادية يتطلب شجاعة كبيرة. وأومأ «جون» برأسه إيجابًا إلا أنهما توقفا عن الحديث إذ دخلت «حنة» الغرفة حاملة كوب الشاي.

www.rewity.com

– نسيت أن أسألك هل تريد سكرًا في الشاي؟

– نعم أريد ملعقتين رجاءً. فناولته «حنة» السكر ثم تساءلت:

– ما الذي كنتما تتحدثان عنه؟ ونظرت إلى «جودي» ملاحظة تألق عينيها.

– أنت، كنا نقول إنك محظوظة. ابتسمت «حنة» له بنعومة وقالت:

– نعم، إنني محظوظة، أليس كذلك؟ ثم استقرت بنظراتها على وجه «جودي»... عدّة أشهر أخرى تقضيها في الجزيرة وسحر تصوير الفيلم ثم... الزواج بمليونير!

بعد أقل من أسبوع، اتصلت «حنة» بـ «جودي» تليفونيًا في مكتب عملها وأخبرتها بأنها ستغادر إلى جنوب البحر الأطلسي فورًا.

– حدث الأمر بأسرع مما توقعت ولا أستطيع القدوم لتوديع والدتي، انقلي لها أسفي وأخبريها بألا تتوقع مني العديد من الرسائل إذ سأكون مشغولة جدًا، وداعا وأرجو أن تنجحي في العثور على غرفة. اكتأبت «أليس» لدى سماعها الخبر وللمرة الأولى تحدثت بنعومة إلى «جودي».

– ظننت أنها ستأتي لتوديعي، أبناء اليوم! إنهم لا يصلحون لشيء إطلاقًا. ورغم إحساس «جودي» بأنه كان على «حنة» بذل جهدها للمجيء لتوديع والدتها، إلا أنها قالت محاولة تهدئتها:

– لابد من أنها لم تجد الوقت المناسب؛ إذ يتطلب التحرك أحيانا لتصوير فيلم نقل كل ممتلكات الشخص معه.

– لا تحاولي إيجاد عذر لها... ليس هناك عذر مقنع. وانهمرت دموعها فنظرت «جودي» إلى والدها فقال:

– لا تبكي، إنها لن تبقى هناك طوال حياتها، وسينقضي الوقت قبل أن تدركي ذلك.

– إنني ضجرة ويائسة من كل شيء! وأشعر بالرغبة في الابتعاد إلى مكان ما وحدي. لم تكن المرة الأولى التي تتشكى فيها «أليس»، إلا أنهم جميعًا ولسبب ما شعروا بالألفة تسود؛ لذلك قال «بيل»:

– لنذهب لقضاء عدة أيام قرب ساحل البحر، لديَّ بعض المال وأنا مستعد لصرفه. جففت «أليس» دموعها محدقة إلى وجهه بشك.

– هل تعني ما تقوله؟ فأومأ برأسه علامة الموافقة:

– سأتقدم بطلب الإجازة من العمل غدًا ولا أعتقد أنهم سيرفضون؛ إذ لديَّ عدة أيام مستحقة من العام الماضي... ما رأيك؟ ترددت «أليس» إلا أن «جودي» السعيدة للتغير المتوقع ساندت فكرة والدها وهكذا قررا السفر يوم الأربعاء المقبل، والبقاء هناك أسبوعا واحدًا. سألها صبيحة مغادرتهما:

– هل ستكونين على ما يرام وحدك؟ وكانت «جودي» واقفة تغسل صحون الإفطار قبل ذهابها إلى العمل.

– بالطبع يا والدي، اذهب بسرعة وإلا ستصلان متأخرين. ساد بينهما الصمت لحظة ثم قال:

– هذه السفرة القصيرة لن تغير شيئا يا «جودي»، انتابت «أليس» واحدة من نوباتها صبيحة اليوم حتى إنني كدت ألغي فكرة السفر. عضت «جودي» شفتها إذ سمعت هي الأخرى صوت «أليس» صاخبًا قبل أن ينهض أحد من سريره.

– أعرف ما تعنيه، سأواصل البحث لأنني متأكدة أنك ستكون أفضل حالا دوني.

كانت «جودي» جالسة بهدوء قرب النار عصر يوم السبت حين سمعت صوت سيارة تقف قرب باب المنزل، فكرت في أن أحدهم ارتكب خطأ

عندما لاحظت حجم السيارة. لابد من أنه قادم للسؤال عن العقيد «برات» القاطن عند نهاية الشارع. نهضت «جودي» واقفة ثم توجهت نحو الباب وفتحته قبل أن يقترب سائق السيارة من الباب. حدّقت «جودي» إلى القادم بدهشة: إنه طويل القامة، وسيم ومتميز، ذو شعر أسود وبشرة داكنة... ليس إنجليزيًا بالتأكيد... كلا... لا يمكن أن يكون هو! احتواها بنظراته وقال:

– إنني أبحث عن الآنسة «جودي لانكهام»... كانت دهشته فائقة وتغيّر تعبير وجهه ليدل على سروره برؤيتها:

– هل أنت «جودي»؟ وابتسم إذ أجاب عن سؤاله بنفسه:

– إنني واثق بذلك! أنا «فيداس» ولابد من أنك خمنت ذلك.. هل أستطيع الدخول؟ وأضاف حين لاحظ جمود «جودي» في مكانها:

– نعم، نعم بالطبع. أحست «جودي» بصغر حجمها إلى جانبه... وفكرت حين نظرت إلى عينيه الباسمتين بطريقة جذابة... أنه... أنه سيموت بعد عدة أشهر. لا يبدو ذلك محتملاً... إذ كان حيًا فتيًا وذا جسد رياضي قوي. بلعت «جودي» ريقها بصعوبة وكان صوتها مرتبكًا حين نطقت أخيرًا:

– نعم... ادخل رجاءً.

– شكرًا «جودي». لم تحس بالحرج لوجوده وبدا وكأنهما عرفا بعضهما منذ سنوات.

– هل أستطيع الجلوس هنا؟ وأشار إلى الكنبة فأومأت موافقة، ثم سألته عما يريد شربه:

– كوب قهوة، دون حليب رجاءً.

استطاعت رسم ابتسامة مرتعشة على شفتيها ثم ذهبت إلى المطبخ لإعداد

القهوة. كان قلبها يدق بسرعة وعقلها مشغولاً... لم لم تخبر «فيداس» بأنها ليست «جودي» المعنية بالزواج وأن الأخرى تسكن في «لندن»؟ يجب أن تخبره بذلك لحظة عودتها إلى الغرفة وبلا تأخير؛ إذ ليس من العدل دفعه إلى الاعتقاد أنها الفتاة التي يرغب في رؤيتها. وضعت «جودي» القهوة على المنضدة ولم تدرك مدى جاذبيتها بالنسبة إلى القادم من جزيرة «كورفو» الساحرة.

– هل ترغب في تناول شيء؟

– تناولت غدائي في وقت متأخر؛ لذلك لن أتناول شيئًا حتى العشاء. راقبها إذ وقفت هناك فلاحظت نعومة ملامحه، الملامح اليونانية النموذجية، ورغم نعومة ملامحه أدركت «جودي» أن في إمكانه أن يكون قاسيًا وبلا رحمة عند الحاجة.

– لا تبدو عليك الدهشة لقدومي بهذا الشكل المفاجئ.

– إنني مندهشة...

وكانت مندهشة إلى حد لم تعرف فيه كيف تتصرف. إلا أنها أرادت عدم إظهار ذلك لإعجابها به... لابد من أن «حنة» كانت ستتخذ موقفًا مختلفًا؛ لأنها كتبت ردها على رسالته وتوقعت منه الجواب بطريقة أو بأخرى، بحيث توجب عليه إما البحث عن فتاة أخرى للزواج بها أو المجيء إلى «إنجلترا» لإقناع «حنة» بالزواج به بأسرع وقت وعدم الانتظار فترة عام لسبب بسيط واضح... أنه لن يبقى حيًا فترة العام كلها، وها هو قد اختار الحل الأخير بالطبع؛ لأنه لم يعرف سبب تأخير «حنة» للزواج. قالت «جودي»:

– الرسالة... إلا أنه قاطعها قائلا بأنه قرأها بعناية إلا أنه لم يفهم سبب رغبتها في التأخير.

www.rewity.com

– يجب أن نتزوج فورًا ورغم عدم قدرتي على ذكر السبب... صدقيني يا «جودي» إنه سبب مقنع.

وافترضت «جودي» على الفور أن السبب يكمن في أنه على الرغم من بقائه فترة الستة أشهر ربما علم بقرب وفاته قبل ذلك... ورغم ذلك لم تقتنع «جودي» بالسبب، بل علمت بأن بعض عجلته يعود إلى رغبته في الزواج بالفتاة التي أنقذت حياة ابن أخيه... خاصة بعد لقائه بها. حان الوقت أخيرًا لإطلاعه على الحقيقة... ورغم أنها فتحت فمها للتصريح بذلك إلا أنها كبتت رغبتها بصرامة... أي جنون هذا! لم تفعل هذا؟ هي الفتاة الصريحة طوال حياتها؟... ورن في رأسها صدى كلمة الفشل... لو تزوجت «فيداس» لن تعاني الفشل أبدًا... ستكون امرأة غنية خلال ستة أشهر... أبعدت عن ذهنها فكرتها الشريرة وحاولت مرة أخرى قول الحقيقة لـ «فيداس».

– آسفة جدًا يا «فيداس»... لكنك ارتكبت خطأ... قاطعها وعيناه تتفحصانها بنعومة وحزن:

– كلا يا «جودي»... كلا لم أرتكب خطأ، أريد حقًا الزواج بك، كما قلت لك هناك سبب جوهريٌ.. سبب لا يستحق الذكر الآن، تقبلي فقط حقيقة أنني سأتزوجك وفاء للجميل، تقبلي عذري رجاءً، إذ إنه يشكل جزءًا من رغبتي في الزواج، لا أستطيع الانتظار... ليس هناك وقت... قال كلماته الأخيرة بصوت متهدج فلاحظت «جودي» التماع عينيه وكأنه على وشك البكاء.

– قولي إنك ستتزوجينني الآن يا «جودي».. قولي ذلك يا عزيزتي.

وقفت مرتجفة وفكرت في أن «حنة» لن تعرف بالأمر إلى أن تعود، وحينئذ سيكون الأوان قد فات. سيموت! كانت فكرة مخيفة. كيف

يمكن لرجل بمثل هذا المظهر والقوة أن يعاني مرضًا خطيرًا؟

– عرفانا بالجميل؟ تمتمت «جودي» بشفتين مرتجفتين وشارفت الإحساس بالمرض.

– وفاءً بالدين... كلا ليس من حقها تقبّل عرفانه بالجميل.. إنه حق «حنة» و «حنة» وحدها.

– إنك لا تريدين مني قول ذلك؟ مع ذلك أنا مدين لك يا «جودي». وضع كوب قهوته جانبا وأمسك إحدى يديها المرتجفتين بين يديه:

– دعيني أسدد ديني بطريقة أختارها. توقفت عن الكلام فلاحظت انهمار دموعه وتملكتها الرغبة في الإمساك بمنديل وتجفيف دموعه ومواساته.

– ستفهمين ذات يوم، ولن تنقضي فترة طويلة على حلوله، إنني لاأعرف سبب رفضك الزواج فورًا وتأجيلك إياه، ولكن إذا لم تتزوجيني الآن ستفلت الفرصة من بين أيدينا. تساءلت «جودي» بطريقة آليّة:

– تفلت الفرصة؟ لماذا يا «فيداس»؟ فهز رأسه قائلا:

– عزيزتي «جودي». وشد على يدها بقوة آلمتها ولاحظت مرة أخرى أن وراء استعجاله سببًا آخر غير المرض، سببًا أصبح يحفزه بعد لقائه بها... هي «جودي لانكهام» الحقيقية. تُرى هل لأنه أصبح يودّها؟ وانتظرت بلهفة أن يقول شيئا يريحها، وأحست بالأرض تدور بها وكأنها تستعيد أحاسيس عاشتها منذ زمن بعيد.

– عزيزتي «جودي». لا تسألي شيئا... قولي فقط إنك تقبلين الزواج بي فورًا. نظرت إلى يده الشادة على يدها بقوة أظهرت لون عروقه بوضوح رغم لون بشرته الداكن، وبقيت للحظات محدقة إليه فعرفت ما يجب عليها قوله في تلك اللحظة:

«إنني لست «جودي لانكهام» التي راسلتها، إنها ليست هنا، بل

www.rewity.com

غادرت «إنجلترا». وبدلا من قول ذلك قالت «جودي» بلهجة ناعمة وصوت هادئ.

– سأتزوجك يا «فيداس» فورًا.

– 3 –

دعاها «فيداس» لتناول العشاء في مطعم جميل يقع على مقربة من القرية، وتناولا وجبة الطعام على ضوء الشموع، وكانت أرضية المطعم مفروشة بسجادة ذات لون قرمزي والنار متأججة في موقد قديم الطراز تمت المحافظة عليه ليضفي على المكان جوًا خاصًا. كانت «جودي» مضطربة وأحست بالخوف مما فعلته وحاولت عدة مرات النطق بالحقيقة، لكنها وإذ جلست مقابل الغريب الوسيم القادم من الشرق اعتصمت بالسكوت وشعرت بالانجذاب نحوه، فتلاشت فكرة مصارحته بالحقيقة من ذهنها. كان الأمر غير مهم، وأقنعت نفسها بأن ما كان مهمًا هو جعل هذا الرجل سعيدًا في الشهور المتبقية من حياته، ولم تثر فيها فكرة الزواج نشوة، تصورت أن كل فتاة تحلم بها. إذ كانت بطبيعتها فتاة خجولة ومن الرجال خاصة، فاستغربت هي نفسها جلوسها بهدوء وتبادلها الحديث مع رجل غريب ستصبح زوجته قريبًا. إذ إن «فيداس» بالنسبة إليها لم يزل غريبًا وأبعد ما يكون عما رسمته في مخيلتها من صورة لزوجها في المستقبل. تبادلا الحديث في المنزل فترة طويلة قبل أن يقترح «فيداس» الخروج لتناول العشاء. وحدثها عن عمله، ورغم أنه لم يذكر شيئًا عن ثروته الطائلة إلا أنه ذكر لها الحقيقة عن منزله وحديقته، وعن شقته في «أثينا» والفيلا الواقعة في جزيرة «كاليمونز» الساحرة.

– سنذهب إلى الجزيرة لقضاء شهر العسل، وستسرين لمرأى الجزيرة يا «جودي».

وأخبرته بدورها عن حياتها. كانت في البداية مترددة إذ لم تعلم مقدار ما يعرفه عن «حنة» من خلال رسائلها، إلا أنها أيقنت بعد قليل أنه لا يعرف شيئًا عنها، إذ كانت رسائلها قصيرة ومختزلة، وحاولت تجنب الحديث عن «حنة» التي لن يلتقي بها ولا يعرف شيئًا عن وجودها. عرف «فيداس» «جودي لانكهام» فقط ولن يعني له اسم «حنة» شيئًا، وبما أنه لن يكتب لها فستظن «حنة» أنه قبل شرطها وأنه باقٍ في انتظار رسالة منها تخبره فيها باستعدادها للزواج. حينئذ لن يكون «فيداس» حيًا...

فكرت «جودي» في الموت مرة أخرى حين كانا جالسين في الصالة يرتشفان قهوتهما، فأحست بالكآبة تطغى عليها، ولأول مرة سمحت لنفسها بتخيل ما سيحدث، رأت نفسها مع «فيداس» في النهاية، ثم حياتها وحدها بعد أن تقضي فترة الستة أشهر معه كزوجة وصديقة. سيكون زواجهما مبنيًا على اتفاق متبادل وليس الحب بالطبع، إلا أنها لم تستطع تجنب مخاوفها من الوحدة والهوة العميقة الماثلة أمامها بعد وفاة زوجها. خاطبها بصوت متلهف حين رأى القلق مرتسمًا على وجهها:

– ما الذي تفكرين فيه ويجعلك مهمومة إلى هذا الحد؟ ابتسمت وبدا لها من البديهي أن تفعل ذلك بسرعة لتُجَنِّبه القلق:

– لا شيء مهم يا «فيداس». وسألها عما كان السبب وراء تركها لوالدها وزوجته، فأخبرته بمشاكلها مع زوجة والدها وقرارها بمغادرة المنزل، قال:

– يجب أن آتي لزيارة والدك...

ورفع قدح القهوة عن الطاولة الصغيرة الموضوعة أمامهما، فلم يسمع توضيحها الأخير. فكرت «جودي» أن كل شيء حدث بسرعة لم تدع لها فرصة للتفكير جيدًا... ماذا عن الزواج؟ كيف تستطيع الزواج دون علم زوجة والدها؟ «أليس» لن تترك «فيداس» جاهلاً بحقيقة إقدامه على الزواج بالفتاة الخطإ. وأخيرًا توصلت إلى التفكير في حل.

– بما أنني لست على علاقة جيدة بزوجة والدي، فلا أظنها سترغب في مقابلتك، أما بالنسبة إلى والدي فأستطيع تدبير أمر لقائك به في مكان ما خارج المنزل، في مطعم مثلاً.

– هل الأمر سيئ إلى هذا الحدّ؟ أومأت برأسها موافقة ورغمًا عن إرادتها ارتعشت شفتاها لذكرى الشجار الأخير بينهما.

– نعم، الأمر سيئ جدًا....

– إذن جاء عرضي للزواج بك في الوقت الملائم... أليس كذلك؟

– بلى... قالتها بإخلاص تام ناظرة إلى عينيه فأحس بصدق مشاعرها.

– يجب عليك إذن تدبير اللقاء في مكان آخر، ربما سيكون من الأفضل لقاؤه في الفندق... لكنني لن أحجز للبقاء فيه، هل تعرفين مكانًا آخر؟

– نعم، هناك فندق في «بريدبورت»، لا يبعد عن القرية إلا كيلومترات قليلة، ليس كبيرًا إلا أنه مريح، وسترتاح فيه.

– وهل هناك مكان نستطيع التحدث فيه...

– بالطبع، ويمكنك لقاء والدي هناك... وبدا عليها القلق من جديد فقال:

– لابد من أن والدك يعرف أنني عرضت عليك الزواج؛ لذلك لن يكون من الصعب دعوته للقائي... أليس كذلك؟

ابتلعت «جودي» ريقها بصعوبة... هذه صعوبة جديدة تواجهها ولم تفكر فيها من قبل. مما دفعها إلى الندم من جديد على قبولها الزواج به، كمهرب مماثل لقضائها رحلة قصيرة بعيدًا عن البيت.

– بلى، يعلم والدي أنك عرضت عليّ الزواج؛ لذلك لن يكون من الصعب قدومه للقائك.

– حين جئت لزيارتك ولإقناعك بتغيير قرارك بصدد الزواج، لم أتوقع لقاء شابة ساحرة مثلك، هل تعلمين أنني لو أردت وفي ظرف آخر اختيار زوجة لي لما استطعت إيجاد فتاة أكثر سحرًا وجاذبية منكِ؟

احمرّ وجه «جودي» لملاحظته، فأدارت رأسها جانبا ورغم إحساسها القوي بالذنب نسيت ذلك وشعرت بالفرح لمديحه؛ لأنها كانت المرة الأولى التي يمدحها فيها رجل بهذه الطريقة، واستطاعت أخيرًا إجابته:

– شكرًا للطفك البالغ.

– إنها الحقيقة فقط.

كان ذلك كل ما قاله، ثم غادرا المطعم إلى الفندق بسيارته الكبيرة، وأخبرها بأنه استأجرها بعد نزوله من الطائرة، وأوضحت له «جودي» الطريق إلى الفندق حيث استطاع حجز غرفة له، ثم رافقها إلى البيت فدعته للبقاء عدة دقائق إلا أنه بقي فترة طويلة، ولم تبد عليه الرغبة في المغادرة، مما آلم «جودي»، لأنها علمت أنه يحاول استغلال كل دقيقة بقيت له، ثم إن بقاءه يحمل معنى آخر، هو سعادته إلى جانبها، فأقسمت في داخلها أن تسعده في كل لحظة طوال حياته، ولن تسمح لأي خلاف أن ينشب بينهما ولا لكلمة جارحة أن تقال. وأخيرًا قرر المغادرة فاصطحبته إلى الباب. كان ضوء القمر غامرًا فوقفا في الحديقة ورائحة الزهور تملأ الجو. قال بنعومة وحنان:

www.rewity.com

– ليلة سعيدة يا «جودي»... فأحست بتسارع دقات قلبها، وإذ أمسك بيدها ليقبلها حدقت إلى عينيه فرأى في عينيها المودة والألفة. بقيا صامتين فترة لم يدركا طولها، فكررت:

– ليلة سعيدة يا «فيداس». واقترح عليها التجول في الريف والتوقف في أماكن مختلفة لتناول وجبات الطعام. أما يوم الاثنين فاقترح أخذها إلى «دورجستر» للإعداد للزواج، ثم قضاء بقية اليوم في «بورلوث».

– سآتي في العاشرة صباحًا.

ورفع يده لتحيتها ثم بدأ قيادة السيارة، وراقبته «جودي» وهو يبتعد ثم استدارت ببطء لتدخل البيت وتواجه واقع الحلم الجميل، وإذ مرت الدقائق تحول الواقع إلى أمر لا معقول، وتخيلت «فيداس» واحدًا من أبطال الأساطير اليونانية القديمة. ذهل والدها وبقي يحدق دون أن ينطق بشيء حين أخبرته «جودي» بالحكاية بعد عودته من إجازته القصيرة، وإذ انتهت من توضيح الأمر انتظرت تعليقه بنفاد صبر. إلا أنه اكتفى بهز رأسه وعلى وجهه علامات التعجب. وأصغت إليه إذ أخبرها بأنها كانت مجنونة لاعتقادها أنها ستتزوج دون انفضاح أمرها.

– في اللحظة التي ستوقعين فيها الأوراق الرسمية سيعرف أنك لست من كان يراسلها ووقعت الرسائل. نظرت «جودي» إلى الصورة الموضوعة على الخزانة:

– كنت أتمرن على التوقيع مثلها وكما وقعت الصورة. وانعقد لسان «بيل» إذ كان يحدق إلى ابنته:

– «جودي» ماذا جرى لك؟ إنه احتيال وتزوير... هل تعرفين ذلك؟

صمتت للحظات فاستعادت ذكرى يومهما... كم كان اليوم رائعا! تمتعا بوقتهما كما لو كانا يعرفان بعضهما منذ سنوات. اشترى لها خاتم

الخطبة وألبسها إياه في أثناء وقوفهما في حديقة الفندق حيث ذهبا لتناول الغداء. أما خاتم الزواج فقد احتفظ به في جيبه. تمشيا قرب الساحل، وأمسك بيدها فكانا عاشقين حقيقيين، ثم جلسا على مصطبة يتأملان البحر ويتحدثان من حين لآخر أو يبديان ملاحظة ما عن أحد المارة، وكانا محظوظين إذ أشرقت الشمس طوال اليوم، فكان الجو دافئا ومشرقا.

– أعتبر الاحتيال مشروعًا يا والدي، إذ لا يستطيع «فيداس» الزواج بـ«جنة» لأنها غير موجودة هنا ولأنها اختارت العمل بدلا منه، ولأنه لا يستطيع الانتظار فلن يكون بمقدورهما الزواج أبدًا... إنه يحتاج إليّ. هز رأسه من جانب لآخر وبقي محدقا بصمت، وأخبرته بكل شيء، حتى مشاعرها الخاصة نحو «فيداس»... عاطفتها وقرارها بجعله سعيدًا طالما بقي حيًا. ليس هناك عامل احتيالي في عواطفها مهما كانت الأسباب...

– ماذا عن النقود التي سيتركها لكِ؟ هل تحاولين إخباري بأنها لا تعني لك شيئًا؟ وأنها لم تؤثر فيك لاتخاذ هذا القرار غير المعقول؟ ترددت قليلا قبل أن تعترف بأن للعامل المادي تأثيرًا فيها في البداية.

– لكنني وبعد فترة قصيرة اكتشفت أنه ليس المال. وإذ لاحظت صمته ونظرات عدم التصديق واصلت:

– لا أتوقع منك تصديقي، إلا أنه ليس للمال أهمية بالنسبة إليّ. سألها والدها وحل محل سخريته المريرة إحساس بالقلق.

– هل تحاولين القول إنك تحبين الرجل؟

– كلا بالطبع، إلا أنني أشعر بالأسف من أجله، يؤلمني التفكير في أنه سيموت وهو شاب، وستنتابك الأحاسيس ذاتها حين تلتقي به.

www.rewity.com

– من المحتمل ذلك... إذ إن حالة أي شخص مثله تثير الشفقة عند الجميع، إلا أنني مسرور لأنك لم تقعي في حبه.

– هل ستأتي للقائه مساء اليوم؟

ودل صوتها على القلق واللهفة، ورغم أنها أخبرته بأنها ستتزوج «فيداس» سواء أحصلت على موافقته أم لا، إلا أنها تحب والدها وتفضل إتمام كل شيء برضاه.

أخبرت «جودي» «أليس» بأنها ستغادر المنزل بعد يومين لعثورها على عمل في شمال «إنجلترا»، وتلقت «أليس» الخبر دون رد فعل، إذ كانت تعلم ببحث «جودي» عن مكان آخر ورغبتها في التغيير. حتى إنها لم تسأل «جودي» عن عنوانها الجديد لتحول إليها رسائلها، إلا أنها اكتفت بالقول إن والدها سيقوم بذلك.

– بالطبع سآتي لرؤيته. أومأ والدها برأسه في أثناء حديثه مشيرًا إلى ضجة «أليس» في الطابق الأول؛ إذ كانت تستعد لزيارة شقيقتها.

– تترك «أليس» البيت عادة للحاق بسيارة الساعة السابعة والنصف.

– وسنغادر نحن في الساعة الثامنة.

تزوجت «جودي» يوم الجمعة بعد أن غادرت البيت يوم الخميس لتسافر إلى شمال «إنجلترا» حسب ما أخبرت زوجة أبيها. إلا أنها قضت ليلتها في فندق «دورجستر» أما والدها فقد ساندها تمامًا بعد لقائه بـ «فيداس» وترك البيت كعادته صبيحة يوم الجمعة بحجة الذهاب إلى العمل، إلا أنه بدلاً من ذلك توجه إلى الفندق حيث كانت «جودي». وغيّر ملابسه ليرتدي بذلة، هرّبها من البيت مع حقائب ابنته. قالت «جودي» بعد عودتها إلى الغرفة:

– إنك تبدو أنيقًا.

– أنت الأخرى تبدين جميلة وأنيقة.

أدركت «جودي» أنه بنظراته المتفحصة لملابسها، كان يحاول تقدير ثمنها. لقد أصر «فيداس» على شراء البذلة ودفع ثمنها ولم تعترض هي لعلمها برغبته في إسعادها. كان «فيداس» يبدو رائعًا في بذلته الرمادية الغامقة الثمينة. كان طويلاً وبدا بصحة جيدة. أمسكت «جودي» أنفاسها إذ لاحظت نظراته المتفحصة، ثم ابتسم بحنان مأخوذًا بقوامها وخصرها النحيل وكتفيها الفخورتين. واحمرّ وجه «جودي» فزاد التأثير من جمالها والتماع عينيها الجذابتين.

– إنك جميلة جدًا يا «جودي» وسعيدة... هل أنتِ سعيدة؟ أومأت برأسها وتساءلت:

– هل أنت سعيد يا «فيداس»؟

– إنني سعيد إلى أقصى حدٍّ ممكن يا «جودي».

إلى أقصى حدٍّ ممكن... إن لكلماته معنى عميقًا لا يفهمه أحد سواها.

بعد انتهاء مراسم الزواج، دعاهما «فيداس» لتناول الغداء وكانت معنوياته عالية وبدا فرحا جدًا، ثم حلّت لحظة الوداع فدعا والدها لزيارتهما ولدهشة «جودي» وافق والدها وقال إنه سيدخر بعض المال ليدفع ثمن التذكرة ويزورهما في وقت قريب هذا العام.

أراد «فيداس» أن يعرض على والدها دفع ثمن التذكرة، إلا أنه تلقّى نظرة تحذير سريعة من «جودي» فامتنع عن ذلك لئلا يشعر الوالد بأن «جودي» أخبرته بتفاصيل مشاكله المالية.

في الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم، وصل الاثنان إلى «رودس»، أكبر جزر «دوديكانسي» الآسيوية الجو، والواقعة قرب «آسيا» الصغرى، وقررا قضاء ليلة شهر العسل الأولى في الجزيرة قبل أن يواصلا رحلتهما

صبيحة اليوم التالي إلى بيته في جزيرة «كاليمونز». قال «فيداس» تعليقًا على نظرات إعجاب «جودي» في طريقهما إلى فندق «ديس روزيز».

– جزيرة الزهور، أجمل جزيرة يونانية كما يقول البعض.

– وماذا تقول أنت؟

– أفضّل مكانًا أقل ازدحامًا، جزيرة «كوس» جميلة؛ لأنها تحتوي على مختلف أنواع الزهور الجميلة وخاصة ما زرعه الإيطاليون فيها، ثم إنها أكثر هدوءًا من هذا المكان ولا يرتادها عدد مماثل من السياح.

– وماذا عن «كاليمونز»؟

– آه «كاليمونز»! إنها جزيرة يونانية خالصة دون سياح... تزورها السفن السياحية أحيانًا ولكنها لاتبقى فترة طويلة لحسن الحظ، ولا يزال في إمكان المرء الانفراد بنفسه قرب سواحلها في الصيف.

– لابد من أنها مكان رائع.

وانتابها الخجل إذ فكرت مسبقًا فيما سيحدث في ليلتها الأولى معه، فهو لا يزال رجلا غريبًا رغم توثق علاقتها به في الأيام القليلة الماضية، وأحاطت بهما الأضواء بعد تلاشي الغسق وحلول الظلام... أجاب بنعومة:

– إنه مكان رائع لقضاء شهر العسل، وأنا متأكد أنك ستحبينه كثيرًا.

وأبطأت السيارة بهما فقال:

– ها نحن أخيرًا... هل تحسين بالتعب لطول الرحلة؟

– كلا، بل تمتعت بها كثيرًا، كانت رحلة مثيرة... فأنا كما ترى لم أسافر كثيرًا في حياتي.

– هل عشت طوال الوقت في القرية الصغيرة؟

– نعم، وكما أخبرتك، عشت مع والدي وحدنا أكثر من عشرين عامًا.

وتذكرت «جودي» كيف كانت حذرة في البداية من الإشارة إلى حياتها الخاصة، مخافة أن تكون «حنة» قد ذكرت شيئًا مخالفًا. إلا أنها تذكرت بمرور الوقت أن «حنة» لم تذكر شيئًا خاصًا في رسائلها، وأثار الأمر استغراب «جودي» لأن «حنة» مهووسة بالحديث عن نفسها. إلا أنها أقنعت نفسها بأنها لم تجد ما تقوله لعم الطفل الذي أنقذت حياته، خاصة أنها لم تلتق به، ولم يهمها أمره حتى تسلمت الرسالة الأخيرة. إلا أن توقيت الرسالة جاء في وقت كانت فيه «حنة» مشغولة بأشياء أكثر إثارة من الزواج برجل غني مثل «فيداس».

– إنك في الحادية والعشرين من عمرك!... يا له من عمر جميل!

ونظر بعيدًا وبدا عليه الوجوم، فتساءلت «جودي» في قرارة نفسها عما كان يتذكر في تلك السن، حين كان المستقبل كله لا يزال أمامه، أو هذا ما اعتقده على الأقل. توجها إلى غرفتهما في الفندق، غرفة وردية ومذهبة وذات تأثيث حديث، ونسيت «جودي» خجلها في خضم الإثارة واكتشاف المكان، وحين اقترب منها «فيداس» ليضع ذراعه حولها شعرت بأنه أمر طبيعي يكمل ما قاما به معًا حتى تلك اللحظة. وإذ سألها:

– هل أنتِ خائفة يا عزيزتي؟ نظر إلى عينيها فقرأ الجواب دون أن تنطق به:

– كلا، لست خائفة يا «فيداس». وقال بعد أن اغتسلا وغيرا ملابسهما وشعرا بالراحة بعد التعب:

– لن نأكل في الفندق الليلة... سنذهب إلى مطعم تركي يدعى «رجب سبارتالي». واستدعى سيارة أجرة قادتهما عبر شوارع وساحات بدت لـ«جودي» وكأنها بنفسجية اللون وذات ظلال غامقة، ثم إلى منطقة أكثر إضاءة أدركت «جودي» أنها مركز المدينة.

– فيم ترغبين؟ وناولها قائمة الطعام. إلا أنها ابتسمت وقالت له:

– لا أدري اختر أنت الطعام. فاختار «فيداس» أنواعا مختلفة من السلطة واللحوم المشوية. في طريق العودة، غادرا سيارة الأجرة عند منتصف الطريق، وسارا بقية المسافة. كانت الشوارع مرصوفة وإضاءتها ضعيفة إلا أن عبير الزهور كان يغمر كل شيء فيمنح الجزيرة جوها الخاص الشبيه بالحلم. كان السياح في المقاهي يأكلون الطعام اليوناني اللذيذ، الجبن والكفتة والكباب. وتوقف «فيداس» و «جودي» قرب إحدى العربات حيث كانوا يعدون الكباب، وإذ وقفت «جودي» إلى جوار «فيداس» مندهشة ومتعجبة لكل شيء أضافت قائلة إنها في حياتها كلها لم تكن سعيدة بهذا الشكل. كانت كلماتها طبيعية وتلقائية مما أفرح «فيداس» فوضع يده على كتفها وخفض رأسه ليهمس شيئًا في أذنها، بعد أن لاحظ مراقبة المارة للزوجين الفتاة الإنجليزية الجميلة واليوناني الوسيم:

– ستكونين أسعد بكثير يا «جودي» حين تتاح لنا فرصة معرفة بعضنا البعض بشكل أفضل.

احمر وجهها فشدها إليه ليشعرها بالاطمئنان... يا له من عالم غير حقيقي ذلك الذي خطت فيه! حين وافقت على الزواج به أحست منذ البداية بقوة تدفعها إلى اتخاذ هذا القرار أقوى من إرادتها... وها هي تدرك أنها منجذبة نحوه بكل عواطفها ومشاعرها وظنت في الأيام الأولى أنها – وكما قال والدها – لا تحس نحوه بغير الشفقة، ولكنها الآن ضحية مشاعر أخرى.. مشاعر ترقب وتوقع لشيء آخر طالما حلمت به... ونظر «فيداس» إلى وجهها الخجول... ما الذي يجول بخاطرها الآن يا ترى؟

* * * * *

– 4 –

ابتعدت عنه قليلا وأدارت رأسها. كان نائمًا بسكون وبدا على وجهه الهدوء التام، فانقبض قلب «جودي». إلا أنها قررت، دون أن يتطرق إليها الشك بصدد مشاعرها نحو زوجها، أن تعيش وتفكر في الحاضر فقط، وأن تتمتع بكل دقيقة ممكنة مع زوجها. إذ سيكون أمامها العمر كله للحزن والألم بلاشك... زمن ستستعيد فيه ذكريات الحاضر وسعادتها معه. نعم ستكون ذكرياتها سعيدة وهي مُصرّة على جعل كل ذكرى سعيدة.

– حبيبي...

وتحرك زوجها في الفراش إلا أنه عاد يتنفس بانتظام. لمست شعره الأسود بيدها وداعبت جبينه إلا أنه لم يصح من نومه. لابد من أن «زينا غوس» وزوجته «أنتيجون» صاحبان الآن، فهما يبكّران في النهوض عادة، إلا أنهما يبقيان في هدوء إلى أن يسمعا صوت حركة سيدهما وسيدتهما في غرفة النوم الكبيرة المطلة على مشهد البحر الجميل. أما النافذة الأخرى فتطل على جبال شاهقة، ومرتفعات غامقة اللون خلقتها الانفجارات البركانية في قديم الزمان. أما حديقة الفيلا الواسعة فمزدحمة بالنباتات الاستوائية وشبه الاستوائية مع أشجار الزيتون السحيقة والليمون والبرتقال والجوز. أخبرها «فيداس» بأنه اشترى هذه الأرض منذ فترة قصيرة فقط، وابتسمت إذ صحا من النوم وأحاط خصرها النحيف بذراعيه.

– يا زوجتي الحلوة العزيزة.. كم مرّ على زواجنا حتى الآن؟ ضحكت لطرافة سؤاله:

– أسبوع كامل! أتشعر بأنك زوج عجوز؟

www.rewity.com

– كلا، لن أشعر بذلك مع زوجة جميلة شابة مثلك... ولم تجب إذ يكفيها مجرد الإحساس بوجوده إلى جانبها، وخاطبها «فيداس» حين كان يحلق وجهه في الحمام بينما كانت تغتسل:

– «جودي»، هل يثير استغرابك، كما أشعر أنا، حدوث المعجزة؟ فكرت للحظات في كلماته وفهمت تمامًا ما عناه بقوله:

– إننا نحب بعضنا البعض بسهولة ونعومة. قالت وكأنها قرأت أفكاره:

– نعم يا «فيداس»، إنها معجزة حقًّا... أحس وكأنني أعرفك منذ زمن بعيد.

– ذلك ما أحس به أنا الآخر. وتوقف عن الحلاقة ونظر إليها بحب وحنان ثم قال:

– إن القدر غريب... إذ ذهبت لقضاء عطلتك في «كورفو» وصادف أن أشرف ابن أخي على الغرق فأنقذتِ أنتِ حياته، ثم كتبت لك لأشكرك على صنيعك ولأعبر لك عن عميق امتناني... إلا أنني لم أدرك حينئذ، ما سيترتب على ذلك من نتائج.

صمتت فتأملت يديها محاولة إخفاء إحساسها بالذنب... لكن لمَ تعاني عقدة الذنب؟ كانت تمنح «فيداس» أكثر مما كانت ستفعل «حنة» في أية لحظة من حياتها، «حنة» الضحلة الأنانية التي قالت لـ «جودي» حين أخبرتها باليوناني وعرض الزواج: «من المحتمل فشل الزواج ولكنني لن أخسر شيئا... أليس كذلك؟ إذ لو قررنا الانفصال فإنه يجب أن يدفع لي مصروفًا شهريًّا يتناسب وثروته الطائلة إضافة إلى احتفاظي بالمجوهرات والفراء والأشياء المهداة إليّ... كلا لن أخسر إطلاقا».

– أخبريني يا عزيزتي، متى بدأتِ الاهتمام بي؟

– من الصعب تحديد الوقت، إلا أنني وبطريقة ما، انجذبت نحوك منذ اللحظة الأولى للقائنا. أومأ برأسه دون أن تبدو عليه الدهشة.

– هذا ما أحسستُ به أيضًا، ولم يتطرق إليّ الشك في أننا سنكون في أتم السعادة.

كان صوته معبرًا عن قناعته وسعادته، فعلمت أنه هو الآخر عاش إحساسها بالدهشة والسعادة التي نزلت عليه بشكل مفاجئ، ولم يضيّع لحظة واحدة دون أن يتمتع بها في أوانها، وتساءلت «جودي» في قرارة نفسها عما سيكون رد فعله فيما لو علم ذات يوم بالحقيقة. إلا أنها لن تذكر شيئا ولن تحاول الإشارة إلى سره أبدًا... إذ إنها ستكشف في الوقت نفسه عن احتيالها. هل سيحل اليوم الذي سيخبرها فيه بنفسه عن السر؟ ارتجفت للفكرة وهزت رأسها وتمنت مخلصة أن يبقى صامتًا حتى النهاية.

– «فيداس» انتهيت من الاستحمام الآن وأريد ارتداء ملابسي.

– لا أحد يمنعك والمكان يكفي لكلينا. اعترضت «جودي» على سلوكه:

– سأستخدم الحمام الآخر يوم غد.

– اقترحت ذلك عليك اليوم إلا أنك رفضت؛ إذ لم ترغبي في مفارقتي حتى مدة 15 دقيقة.

– يا لك من دعيّ ماكر! ضحك «فيداس» فأضافت:

– لاحظت أنك لم تقترح استخدام الحمام الثاني.

– كلا، سأكون مجنونًا إذا حرمت نفسي من رؤية مشهد جميل. احمر وجهها وقالت:

– إنك لا تطاق يا «فيداس».

– كلا يا عزيزتي.. إنني مثلك لم أحتمل فكرة الابتعاد عنك حتى لربع

www.rewity.com

ساعة. هيأ لها المنشفة وقال لها بلهجة آمرة:

– انهضي الآن، لابد أن الماء بارد. فنظرت إلى المنشفة وقالت:

– ليس من الأصول بقاؤك بينما أنشف نفسي. ضحك «فيداس» قائلا:

– إنك لن تنشفي جسمك بل سأفعل ذلك بنفسي... والآن انهضي بسرعة، ألم تتعلمي بعد أن الزوج في اليونان هو السيد؟ ألم يعلمك أحد أن الزوجات يطعن أوامر أزواجهن؟

– بلى أعرف ذلك.. إلا أنني زوجة غير مطيعة.

– حسنًا جدًا، سأغادر المكان لكن تذكري أن الإفطار في انتظارنا.

كان الإفطار جاهزًا في الشرفة حيث النباتات المتسلقة تغطي حتى الجدران، وقد نسّقت الأزهار حول المكان بشكل أضفى على الشرفة سحرًا خاصًا. كل شيء متوفر في هذه الجزيرة.. البحر والجبال والساحل الذهبي، إضافة إلى السماء الزرقاء الصافية وعطور الأزهار القوّاحة. والجزيرة مقر لصيادي الإسفنج الشجعان، وتقع إلى جنوبها جزيرة «خوس»، وهي جزيرة «أبقراط» الملقب بـ «أبي الطب».

قدمت لهما «أنتيجون» عصير الفاكهة أولاً ثم البيض المقلي مع الخبز، والمربى والزبدة المحلية الرائعة. كان الاثنان يرتديان ملابس خفيفة إذ كان في نيتهما قضاء وقتهما في الحديقة حتى وقت الغداء ليتوجها بعد ذلك إلى البحر للسباحة. لم تكن «جودي» سبّاحة ماهرة، لذلك اتخذت حذرها من البداية أن تبقى قريبة من الساحل ومستخدمة كسلها كعذر لئلا يفتضح أمرها، واكتفى «فيداس» بالضحك وبمداعبتها فتمنت ألاّ يلاحظ عدم إجادتها السباحة. مر الصباح بسرعة ثم تناولا غداءهما المكون من اللحم المشوي والسلطة وتلا ذلك الحلوى المصنوعة في البيت.

قالت «جودي» حين جلسا في الحديقة لتناول القهوة بعد الغداء:

– لم أتناول طوال حياتي طعامًا لذيذًا مثل هذا، لابد من أن وزني سيزيد إلى حد أن والدي لن يعرفني حين يأتي لزيارتنا.

– إنك شابة ولن يزيد وزنك بسبب الطعام. وسمح «فيداس» لنظراته بتفحّصها، فلاحظ تغير لون بشرتها بسبب الشمس مما زاد من جمالها. أما شعرها الذهبي ذو النهايات الحمراء فقد عمقت الشمس لونه قليلا فأبرز جمال عينيها.

– يا عزيزتي «جودي»... إنك أجمل فتاة عرفتها في حياتي. وتسارعت ضربات قلبها واحمرّ وجهها فتحركت في مكانها بلا وعي. قال:

– آسف يا عزيزتي إذا أزعجتك بغزلي، إلا أنك ستعتادين ما أقوله بعد فترة قصيرة... لا تدعي ذلك يحرجك.

– أبدًا، ستثيرني كلماتك دائمًا. ونظرت إليه بحب إذ راقبها وهو يرتشف قهوته.

– كيف يمكنني التعود حتى تصبح كلماتك غير فعالة؟ هذا مستحيل ما دمت أحبك... لم يعلق «فيداس» على قولها بل جلس مفكرًا... ثم قال بلهجة غير مؤكدة:

– أسبوع واحد... تزوجنا منذ أسبوع واحد فقط، وهذا الحب العظيم المتبادل بيننا... هل تدركين، ياعزيزتي، أننا قبل أسبوعين لم نكن نعرف بعضنا بعضًا؟ أومأت برأسها وعكست نظراتها عجبه ودهشته.

– لم نظن حين قررنا الزواج أن الأمر سيتحول إلى علاقة حب... أليس كذلك؟ قطبت «جودي» جبينها وأصغت إلى ما سيقوله:

– بلى... لكن هل تذكرين ما قلته لكِ... إنني انطلاقًا من رسائلك

WWW.REWITY.COM

حكمت بأنك فتاة ساحرة؟

أطرقت برأسها... نعم، «حنة» فتاة قادرة على جذب أي رجل، ولو أنها أرادت الزواج بـ «فيداس» لاستطاعت - بالتأكيد - سحره وشدّه إليها، ولكن سحرها وقتي وما إن ينتهي تأثيره حتى يكتشف «فيداس» لونها الحقيقي. إذ إن «فيداس» كان يريد بلا شك فتاة تفي بتوقعاته... ولابد من أن زواجه بـ «حنة» سيكون أقسى لطمة تلقاها في حياته، واقشعرّ جسمها للفكرة؛ إذ إن زواج «فيداس» في الأشهر الأخيرة من حياته بفتاة وثق بها، وظن أنه سيقضي معها وقتًا سعيدًا، ثم يكتشف بعد ذلك عكس ما توقع، كان سيقضي على آخر آماله. نعم احتالت هي باتخاذ شخصية «حنة» ولابد من أن يثار من آن لآخر ما يشير إلى احتيالها. إلا أنها لم تندم على زواجها؛ إذ إنها و «فيداس» يعيشان علاقة حب خاصة ومنذ لحظة لقائهما الأول. سمّى «فيداس» ما حدث معجزة وهي تدرك أحاسيسه تمامًا ولمَ وصفها بذلك الشكل. حين كتب لـ «حنة» عارضًا عليها الزواج كان يأمل الحصول على الصداقة وبعض الحب بعد الزواج... إذ إنه - وكما قال - لاحظ أن مَنْ تراسله فتاة ذات سحر خاص. نعم، ربما كان يحبها قليلا فقط، إلا أنه لم يحلم بعلاقة حب رائعة بين الطرفين مثلما جرى له و لـ «جودي». رفعت رأسها فلاحظت انتظاره لتعليقها:

- أنا مسرورة لأنني لم أخيّب ظنك...

وبدا من الواضح أنها لم تجد كلمات أخرى تعبر بها عن أحاسيسها، فضحك زوجها وطلب منها إتمام شرب قهوتها، إذ حان وقت ذهابهما إلى الساحل. سارا على الرمال الذهبية باتجاه الكوخ الساحلي والذي

تعود ملكيته لـ «فيداس» حيث يقع على الجزء البعيد من أرضه الخاصة، وغيرت «جودي» ملابسها فارتدت بذلة السباحة بينما حملت بيدها المنشفة الكبيرة، وكذلك فعل «فيداس». كما بدا رائعًا في صحة جيدة بجسمه الطويل القوي، وتراءى لها أن إصابته بأي مرض كانت شبه مستحيلة. أمسك بيدها وركضا نحو البحر. قالت:

- إنك تجعلني أشعر وكأنني في السادسة عشرة. وذلك حين ترك يدها أخيرًا وبدأ السباحة بقوة، مترقبا إياها، في انتظار أن تسبح إلى جانبه.

- تعالي... اسبحي بسرعة وبقوة... لن أسمح لك بالكسل اليوم. وازدادت المسافة الفاصلة بينهما:

- أرجو أن تتركني وحدي يا «فيداس». ثم استدارت وطفت على سطح الماء تحت أشعة الشمس الحارة وقالت:

- هذا ما أحب فعله حقًا.

- حسنًا جدًا سأتحملك لأننا ما زلنا في فترة شهر العسل. استرخت وبدأت السباحة... كل ما كانت تحتاج إليه هو التمرين والتمرين فقط، وعادت معه إلى الشاطئ. تمددا على الرمل ثم شربا بعض عصير الفاكهة الذي جلبه «فيداس» من الكوخ.

- أصبحت بشرتك سمراء. ولمس ذراعها بنعومة. ثم قال:

- «جودي» ما الذي فعلته لأستحق هذا؟ أية قوة إلهية ربطتنا معًا؟ حب كهذا يوجد ليدوم إلى الأبد... ومع هذا...

وتخاذل صوته فلم تستطع النظر إليه بل اكتفت بإدارة رأسها جانبًا... حب إلى الأبد... نعم إن حبهما رائع إلى حد تمنيا معه دوامه إلى الأبد... نعم هذا ما كان يفكر فيه. إلا أنه حين استدار لم تلحظ في نظراته علامات

www.rewity.com

الأسف والنقمة كما توقعت، لأنه أراد أن يجنبها الحزن ولا يمنحها إلا الذكريات السعيدة. أمسك بيدها بقوة فعلمت أنه أراد بذلك إخفاء حزنه وسره الدفين، وكما قررت هي أن تغتنم السعادة في كل لحظة وأن تشعره بالحب بلا توقف كذلك قرر هو أن يجعلها سعيدة. أن يتمتع بحاضره ويتفادى آلام التفكير في المستقبل ليمنحها ذكريات تمدها بالسعادة حتى بعد وفاته. لذلك ومنذ تلك اللحظة لم يفكر أحدهما في شيء غير العيش في الحاضر والتمتع بكل لحظة، مانحًا أحدهما الآخر نفسه كليًا، دون شجار أو خصام أو حتى نظرة واحدة تدل على الغضب أو تكشف عن السر المؤلم...

بقيا في الجزيرة مدة أسبوعين آخرين. كانا كسولين، تمشيا على طول الساحل وتحت أشجار الزيتون. سبحا وجلسا تحت أشعة الشمس، ثم تناولا وجبات الطعام في أماكن مختلفة خارج المنزل.. إذ كان المنزل صغيرًا ولم تكن فيه غرفة طعام حقيقية. بل استخدما أحيانا الصالة الصغيرة لتناول الطعام على ضوء الشموع. كانت الصالة مواجهة للغرب تدخلها أشعة شمس الغروب فتنير المكان بلون أحمر بنفسجي دافئ واعتادا الجلوس هناك قبل تناول الطعام ليلاحظا جمال ألوان الشمس... الأشعة الذهبية أولا ثم الحمراء والبنفسجية وأخيرًا ظلال الغسق الساحر تلف الجبال والبحر والحدائق الهادئة ذات الروائح العطرة بخليط من ألوان غريبة تتراوح بين البنفسجي والرمادي، واعتادا التجول في الحديقة بعد العشاء وتحت ضوء القمر. كانت الأشجار المزهرة تحيط بهما من كل جانب، وتمتد حتى نهاية أرض «فيداس» عند الساحل... وفي الإمكان من هناك رؤية ساحل آخر يدعى «كاندوني» له ثلاثة أكواخ

صغيرة وكنيسة تقع على مقربة منها. كم كان المكان هادئًا! وفكرت «جودي» لو كان هذا الساحل موجودًا في مكان آخر من العالم لبنيت حوله البنايات الأسمنتية العالية، بنايات فاخرة لا يستطيع الاصطياف فيها غير الأغنياء، وفي أسفل التل كان الطريق موازيا للساحل تحيط به أشجار النخيل الباسقة التي تهتز أغصانها بخفة تمنح الليل ما يبعد عنه شبح الوحدة.

وصلا يوم مغادرتهما الجزيرة إلى الميناء مبكرين، فراقبا صيادي الإسفنج وهم يقلعون إلى ساحل شمال «إفريقيا»، حيث يبقون هناك فترة خمسة شهور يغوصون فيها إلى أعماق البحر ليجمعوا الإسفنج، مصدر رزقهم. وجلسا معًا خارج إحدى المقاهي المطلة على الميناء، لتناول طعامهما قال «فيداس»:

– عزيزتي، ما رأيك في تذوق لحم الأخطبوط اليوم؟

– كلا، لا أستطيع... سأتقيأ...

– لن يحدث ذلك.. إنك لا تعرفين ما تفتقدين.. ما إن تتذوقيه مرة واحدة حتى تطلبيه كل مرة.

– إن طريقة لطمه بالصخور قاسية جدًا. ثم تناولت قائمة الطعام المجهول لديها، ونظرت إليها بوجوم.

– يكون الحيوان ميتًا قبل ذلك بفترة طويلة.

– إنها طريقة قاسية مع ذلك، ثم كيفية فركه حتى تظهر الرغوة عليه. كلا، لا فائدة يا عزيزي... لاأستطيع أكل لحم الأخطبوط.

طلبتْ بعض اللحم والخضراوات، إلا أنها فتحت فمها حين ناولها «فيداس» قطعة من اللحم، وأغلقت عينيها ثم مضغت اللقمة مما جعل

زوجها يضحك. دمدمت بدهشة:

– إنه لذيذ، لذيذ جدًا...

– قلت لك إنك ستتلذذين بتناوله. وعدته قائلة:

– سأطلبه المرة القادمة، لم أكن أعلم أنه لذيذ إلى هذا الحد.

شربا القهوة بعد ذلك ثم تناولا الحلوى وبعض الفواكه المجففة والجوز مع قدح من الماء البارد، وأخيرًا تناولا الجبن المصنوع من حليب (لبن) الماعز مع الخبز الأسمر. وسارا بهدوء باتجاه السفينة «نوسوس» التي يستقلها الركاب للقدوم والرحيل عن الجزيرة بانتظام وبالتبادل مع السفينة الأخرى «ليندوس».

– انتهى شهر عسلنا. قالتها «جودي» بنعومة وهي تقف إلى جانب زوجها على سطح السفينة، ونظرت بحزن إلى الجزيرة والرجال الواقفين هناك. كانوا صيادي السمك، وقد بقوا بعد رحيل صيادي الإسفنج، ربما لأنهم تعبوا من مزاولة المهنة الخطرة، أو لأنهم كانوا متقدمين في العمر وغير قادرين على مواصلة السفر.

– كلا لم ينته يا عزيزتي... سيستمر شهر عسلنا يا «جودي»، ما دمنا نرغب في استمراره. ابتسمت وضغطت على يده بحب.

– كان إحساسًا حزينًا لمغادرتنا الجزيرة فقط.. كان وقتًا رائعًا جدًا يا«فيداس»... ولا أظن أن أي إنسان قضى شهر عسل أفضل منا.

– أوافقك تمامًا... لم تكن هناك امرأة أسعدت رجلا مثلما فعلت أنت في الأسابيع الثلاثة الماضية. قالت بعد تردد قصير:

– هل كان يمكننا البقاء؟

– بالطبع، لكن يتوجب عليّ الإشراف على بعض الأعمال، صحيح

أنني تخلصت من الكثير من مسؤولياتي مؤخرًا، إلا أنني لا أزال أُشرف على البعض.

– هل ستتركني فترة طويلة وحدي؟ ولم تحتمل الفكرة... إذ إن وقتها قصير وثمين.

– كلا ليس الآن يا عزيزتي... كيف أستطيع فراقك؟

– كنت أعمل في مكتب سابقًا، هل أستطيع العمل معك ومساعدتك؟

– هل تريدين ذلك؟ هل تفضلين ذلك على فراقي؟ حتى ولو لمدة ساعتين يوميًا؟

– بالطبع، أنت تعلم ذلك. تكلمت بحماس وبلا تردد وأضافت ضاحكة:

– هل تذكر مداعبتك لي بصدد الحمام؟ كانت حقيقة... أردت أن أكون معك في كل لحظة... «فيداس»، رجاء، دعني أكن إلى جانبك في كل لحظة. وأصبح صوتها جادًا وتلاشت ضحكتها. أحزنها التفكير في أن ما يشغله الآن هو أن يهيئ لها حياة مستقلة ومريحة بعد وفاته... إذ إنه لا يريدها أن تعاني التعقيدات فيما بعد وفاته! ومزّقها الألم العميق.. يجب أن تناضل بقوة؛ لتواصل العيش في الحاضر ونسيان المستقبل... يجب ألا تدع لنفسها فرصة لتخيل ما سيحدث. كيف ستعيش دونه؟ همست خلال دموعها ولم تعد ترى شيئًا:

– دعني أذهب معك. وبدا وكأنه لمس عذابها فوضع ذراعه حولها. أطرقت برأسها ثم وبعد لحظات أشارت إلى الجزيرة لافتة انتباهه إلى شيء آخر:

– المقهى حيث تغدّينا كم يبدو صغيرًا! والتلال... تكاد لا ترى الآن،

www.rewity.com

ربما... ربما... سنعود ذات يوم، لنعد ذات يوم يا «فيداس»، لنعد ذات يوم أرجوك.

– إذا كان هذا ما تريدينه يا حبيبتي، فسنعود ذات يوم. إلا أنه أخبرها بأنها لم تر «كورفو» بعد ولا بيته، وأكد لها أنها ستحب الجزيرة؛ لأنها أكثر اخضرارًا من «كاليمونز» ومعدل سقوط الأمطار فيها أعلى.

– إنها جزيرة خضراء، وجوّها غير يوناني إلى حدٍّ ما. جفت دموعها الآن وخاطرت برفع رأسها للتحدث إليه:

– غير يوناني؟ لا أعرف ما الذي تعني؟ كانت تعرف أن «كورفو» جزيرة يونانية كما تعرف موقعها...

– تأثرت الجزيرة بالغرب وخاصة بالحضارة الإيطالية..

– آه، بسبب موقعها.. إذ إنها بين «إيطاليا» و «اليونان».

– نعم، ومناخها مشابه لمناخ جنوب «إيطاليا»، والشتاء مشهور بأمطاره، لذلك ستلاحظين وجود الغابات شبه الاستوائية التي تغطي جوانب التلال.

كان بيت «فيداس» قريبًا من قرية «لاكونيس» الجميلة الهادئة الواقعة في الشمال الغربي من الجزيرة. وصلا هناك عند غروب الشمس وكانت سيارة «فيداس» في انتظاره. وإذ كان كل شيء جديدًا بالنسبة إلى «جودي» فإنها لم تتوقف عن إطلاق صيحات الإعجاب والاستحسان طوال الوقت. الكهوف والينابيع والأفق الساحر... كانت تستمتع بالمناظر الطبيعية الخارقة الجمال. واستدار «فيداس» متخذًا طريقًا جانبية إلى «لاكونيس»، وبعد تركهما القرية خلفهما، أطلاّ على منظر البحر وساحله الذي يكسوه لون الغروب الأخّاذ.

– «فيداس»! لم تخبرني بأنها بمثل هذا الجمال!

– قلت إنك ستحبينها. واستدار بالسيارة من جديد باتجاه الفيلا ذات اللونين الأبيض والأزرق. كانت مبنية على تل يشرف على البحر وخلفها حقل غريب من أشجار الزيتون يغطي مساحة شاسعة، وقال إذ توقف بسيارته عند بوابة الفيلا:

– عزيزتي... إنك في بيتك الآن... أثارت تلك الكلمات عواطفها الجياشة فوقفت صامتة لا تعرف ماذا تقول، فتقدم منها وأحاطها بذراعيه:

– تعالي يا حبيبتي، سأحملك إلى البيت. وأحست فجأة بالخجل أمام الوجه المنحني أمامها، الوجه الداكن اللون بملامحه الصارمة والناعمة في آن واحد... كلا لم تخدع نفسها لحظة واحدة منذ البداية... إنه إنسان له إرادة قوية وصريحة يحصل على ما يرغب فيه عادة... ومرة أخرى أحست بأنها ملكة تجذبها نحوه كل خلية في طبيعتها. رفعها وسار بهدوء نحو البيت، وفتح الباب حال وصولهما خادم يوناني، ابتسم محنيًا رأسه.

– مرحبًا سيد «فيداس» وأنتِ أيتها السيدة. وأضاف إذ اجتازه «فيداس»:

– أقول أيتها السيدة، إذ كما أخبرتني في رسالتك بأنها سيدة وليست امرأة فقط.. رغم أنني لا أعرف الفرق... مرحبًا بكما... إنك ستحبين «كورفو» كثيرًا... فلدينا الشمس الساطعة وكذلك المطر الغزير لذلك تنمو أشجار الفواكه وتثمر وحدها. قاطعه «فيداس» قائلا:

– «سبيروس»، أخبرها بذلك في وقت آخر... إذ إننا في أشد التعب والجوع. أنزل زوجته إلا أنه بقي ممسكا بيدها:

www.rewity.com

– هل أعدّت «ليدا» العشاء؟

– نعم، طبخت وجبة طعام إنجليزية كما طلبت في رسالتك... ها هي هنا.

ظهرت المرأة القصيرة من مكان ما عند نهاية الصالة المفروشة. ابتسمت ونظرت إلى يدي «فيداس» وزوجته وقد تشابكتا، ونطقت كلماتها ببعض الصعوبة إلا أنها كانت مخلصة:

– أهلا بك في جزيرتنا يا سيدة «فيداس»، أتمنى أن تكوني سعيدة جدًا مع زوجك وأن يكون زوجك سعيدًا معك. قال «فيداس» و «جودي» معًا:

– شكرًا «ليدا». وفكر «فيداس» في أنه لابد من أنها قضت وقتًا طويلا تتمرن على إلقاء كلماتها هذه، وبناء على توجيهات من زوجها «سبيروس»، ثم بدأت الحديث إليه باللغة اليونانية وأجابها «فيداس» عدة مرات بجمل قصيرة. واستدار ليقول لزوجته:

– أرادت «ليدا» وصديقتها زخرفة فراشنا بينما رفض «سبيروس» لأنك إنجليزية. كانت «ليدا» قلقة حول هذه المسألة فأخبرتُها بأننا تزوجنا منذ فترة أسابيع لذلك لا تهم الزخرفة الآن.

– هل تعني أن الزخرفة من أجل الليلة الأولى فقط؟

– نعم، إذ تقوم فتيات القرية بزخرفة الفراش ثم يحمله والد العروس إلى بيت العروسين بنفسه.

– يا لها من عادة جميلة! خاطبت «جودي» «ليدا» إلا أنها سرعان ما أدركت أن المرأة اليونانية لم تفهم ما قالته. فترجم لها «سبيروس» ما قالته فابتسمت لها. قال «سبيروس» عند ملاحظته زوجته تدمدم:

– إنها لا تزال قلقة؛ لأنها تنتمي إلى قرية صغيرة في منطقة «بيلوبينيس»

حيث يسود الاعتقاد أن عدم إعداد الفراش وزخرفته، يجلب سوء الحظ وحدوث شيء للعروس...

– «سبيروس»! قاطعه «فيداس» بصوت حاد ولهجة قاطعة أدهشت زوجته:

– احمل حقائبنا إلى الغرفة... ثم أعدّ العشاء.

- 5 -

غطى البحر ضباب كثيف، البحر الذي يفصل الجزيرة عن «ألبانيا» عبر خليج «غوفيا». قاد «فيداس» السيارة عبر الجزيرة ثم شمالا على الطريق الساحلي؛ ليشربا الشاي في فندق «كاستيلو» الواقع في وسط منتزه جميل حيث – كما أخبرها «فيداس» – لا يتوقف العندليب فيه عن الغناء إلى حدٍّ دفع العديد من الضيوف إلى ترك الفندق، ودهشت «جودي» قائلة:

– يغادرون بسبب غناء البلابل؟ يا له من أمر غريب! إنني أحب الطيور وكنت غالبًا أستيقظ مبكرة لأقف عند الباب مصغية لغنائها... إن هناك عددًا كبيرًا من الطيور المغردة في «دورست».

– أنا الآخر أحب الطيور...

خفت صوته للحظات وبدت على وجهه علامات الألم. تقلص قلب «جودي» ألمًا. مضى حتى الآن ثلاثة أشهر... مضت بسرعة في سعادة مع زوج يحبها؛ لذلك افترضت قضاء الثلاثة الأشهر القادمة بالنعمة والسعادة ذاتها... ثم... استرخى «فيداس» واختفت علامات الألم، فابتسم لها كما لو كان يود حمايتها من الآلام إلى الأبد. ابتسمت «جودي» بدورها

www.rewity.com

ومدت يدها فأمسك بها بحب. كانت الشرفة التي جلسا فيها تواجه البحر... بحر أزرق هادئ مثل بركة تغطيها أشعة الشمس. وأحاطت بهما أشجار النخيل بعلوها الشاهق بينما انتشرت الزهور شبه الاستوائية في جميع أرجاء المكان. أما القلعة فكانت ذات مرة قصرًا خاصًا له أثاث فخم وسجاد ثمين. قالت «جودي» متأملة المكان:

– يا له من مكان رائع للعيش! وافقها زوجها بإيماءة من رأسه وسأل:

– هل تودين العيش في مكان مثل هذا يا «جودي»؟ هزت رأسها فورًا:

– إنني أحب بيتنا وأفضله على أي مكان آخر. فابتسم متفهمًا:

– إنه يشبه النعيم منذ أن جئتِ إليه، ما الذي جلبته معك يا «جودي»؟ أجابته ببساطة:

– لا شيء غير الحب. فردد زوجها كلماتها:

– نعم، لا شيء غير الحب، لكن يا له من هبة جميلة! وجاء النادل فطلب منه تقديم الشاي والكعك، ثم نظر إلى «جودي» متسائلا:

– هل تريدين بعض الفطائر؟

– كلا شكرا، يكفي الشاي والكعك. أكلا وشربا وتحدثا... توقفا أحيانا ليراقبا مجموعة من السياح الهرمين رافقتهم فتاة يونانية ذات شعر مصبوغ والملل واضح على وجهها. وأصغيا إلى ما كانت تقوله للسياح عن الجزيرة بينما كانوا في انتظار الشاي فقال لها:

– إنها دليلة تعمل على سفينة لنقل السياح.

– لابد من أن زيارتهم لـ «كورفو» قصيرة إذن؟

– نعم، الرحلة تتضمن زيارة عدة جزر في فترة قصيرة، لذلك لا يجدون متسعا من الوقت للبقاء فترة طويلة في مكان واحد.

– هل هذه سفينتك يا «فيداس»، أعني السفينة السياحية؟

– كلا، كانت هناك واحدة رست في الساعة العاشرة صباحًا ولابد من أنها غادرت الساعة الثالثة مساء.

– هل تعرف دائمًا أماكن سفنك؟

– كلا، كنت أتابع ذلك في الماضي، أما الآن ففقدت الاهتمام لكثرتها. وتمتع بمنظر الدهشة المرتسمة على وجهها، فتابع توضيحه قائلا:

– إن بعضها سفن نقل صغيرة، فقالت «جودي» فجأة:

– هل نستطيع الذهاب في رحلة سياحية ذات يوم؟

– هل تريدين ذلك؟ أومأت برأسها موافقة.

– يجب أن تحصلي إذن على ما تريدينه يا عزيزتي. صمتت مفكرة فيما سمعته، في أوقات مختلفة، عن اليونانيين وخاصة عن الأزواج. إنهم متعجرفون يسيطرون على زوجاتهم، ربتهم أمهات متخلفات، زوجاتهم مطيعات ولا يستطعن حتى التعبير عن رغباتهن الخاصة، وغالبًا يتبعن أزواجهن في كل مكان.

– وماذا عنك يا «فيداس»، هل ستتمتع بالسفرة؟

– ما دمت ستكونين معي، لا أستطيع غير ذلك. ثم سألته قلقة:

– بصراحة يا «فيداس»، لا أريد منك الذهاب إرضاء لرغبتي فقط.

– سأتمتع بذلك تمامًا. أكد لها ذلك فتخلصت من قلقها لتأكيده الصادق.

عادا عبر الجزيرة تاركين «كورفو» الجميلة وشوارعها الضيقة حيث تجولا فيها في وقت مبكر من ذلك اليوم. فرحت «جودي» كعادتها لاختلاف الأماكن وألوانها، البيوت ذات الشبابيك الملونة وهدوء المكان. كانت

www.rewity.com

الحدائق واسعة والأشجار مثمرة. الميناء مفتوح لاستقبال السفن والسياح، وبدت الجبال من بعيد بلون غامق يزيد من زرقة السماء.

وإذ مرا بإحدى القرى الصغيرة لفتت أنظارهما مجموعة من نساء «كورفو» يرتدين ملابس العمل... وهي عبارة عن قمصان بيض وأوشحة تغطي رؤوسهن وتنورات رمادية طويلة. كن يحملن الكثير من الأشياء... فاكهة وخضراوات إضافة إلى لحوم الخرفان المذبوحة. لوّحت النساء لهما وابتسمن بفرح حين استجاب الراكبان لتحياتهن.

– إنني أحب أهل بلدك يا «فيداس».

– كلهم؟ ضحكت وقالت:

– كلهم!

– آه...

– باستثناء واحد أحبه أكثر من البقية. أمسك بيدها ثم ضغط عليها قبل أن يضعها على المقود تحت يده، وهكذا بقيت طوال الرحلة إلى البيت.

كانت الشمس على وشك المغيب حين وصلا الفيلا المبنية على تل، وبدأ الجو في التغير إذ أصبح أكثر برودة وكأنه فقد حرارته ولونه بتأثير السحر، وبدا الجبل رماديًا أضفى ظله عتمة كثيفة على المكان. لكن – في الأفق البعيد – نشرت أشعة الشمس المتبقية لونًا برتقاليًا غريبًا على سطح البحر، وبدا وكأنه مزيّن بزهور بنفسجية مدت حضورها الرائع على طول الساحل الشرقي. وإذ وصلا البيت بقيت «جودي» في مقعدها في انتظار معانقة زوجها لها، الأمر الذي يفعله بتلقائية يوميًا حتى أصبح عادة من عاداته التي تنتظرها بلهفة وحب. وتوجها بعد فترة قصيرة إلى غرفة نومهما البيضاء بعد أن قضيا يومًا سعيدًا آخر. كانت الغرفة باردة ومعطرة

برائحة الزهور الموضوعة في إناء قرب النافذة.

كانت الستائر مسدلة والنسيم عليلاً. أغلق «فيداس» الباب وبقي ساكنا في مكانه لحظات عديدة ناظرًا إليها بحب ورقة. ابتسم، ومد ذراعيه ليتلقاها بينهما وأسرعت لتحس بدفء جسمه... وأقسمت من جديد ألا تفكر في المستقبل، إلا أنها لم تستطع تجنب التفكير فيه وغشاها الظلام فابتعدت عنه مرتجفة... كيف ستواصل الحياة من بعده؟ كيف تعيش دون زوجها..؟

– عزيزتي... ماذا حدث؟ نظرت إليه معتذرة واقتربت منه ثانية.

يجب أن تحذر ارتكاب هذا الخطإ مرة أخرى وإلا تكهن بحقيقة ألمها... ما الذي ستراه في عينيه الصادقتين لو نظرت إليه تلك اللحظة؟ هل ستجرؤ على ذلك؟ كلا لم تكن ترغب في رؤية الحقيقة...

– عزيزتي، حان الوقت لنفكر في تغيير ملابسنا استعدادًا لتناول العشاء.

وكالعادة حلق وجهه بينما كانت «جودي» تستحم، ثم تركها لترتدي ملابسها في غرفة النوم واستحم بعدها. وكالعادة أيضًا جلسا في الشرفة قبل العشاء وتناولا عصير الفاكهة. تحدثا بصوت منخفض وأيديهما متشابكة كأنما يخافان أن تفلت منهما لحظة واحدة دون أن يكونا إلى جانب بعضهما، مع جهل «فيداس» بمعرفة «جودي». استدعتهما «ليدا» لتناول العشاء وجلسا في غرفة الطعام ذات الأثاث الدمشقي والأنوار الجدارية الخافتة. كانت الزهور موضوعة في كل مكان؛ إذ لم يكن هناك ما يسعد «ليدا» أكثر من ترتيب الزهور بشكل جميل، وبعد تناولهما العشاء، تمشيا في الحديقة ثم ذهبا إلى الممر الخارجي. واعتادا القيام بذلك كل ليلة تقريبًا، فهما قد يتوقفان للإصغاء إلى صوت بومة أو إلى بعض الموسيقى

www.rewity.com

المترددة في مكان بعيد، ثم يعودان إلى بيتهما وحدائقه الغنّاء. وهكذا قضيا أيامهما معًا. وكما قال «فيداس» ذات مرة إن شهر عسلهما سيستمر طالما كانا يرغبان في ذلك. وكان «فيداس» يلجأ إلى مكتبه لقضاء بعض الأعمال و «جودي» تساعده أحيانًا، إلا أنه أراد عدة مرات البقاء وحده فقدرت «جودي» وضعه وفهمت أنه يريد أداء بعض الأعمال الخصوصية فتركته وحده. بعد أسبوع من رحلتهما إلى المدينة وفندق «كاستيلو» حيث شربا الشاي، كانت «جودي» تكتب رسالة إلى والدها حين عاد «فيداس» من مكتبه أسرع مما توقعت. كانت جالسة في الشرفة قرب منضدة صغيرة وأراد إلقاء نظرة إلى الرسالة إلا أنها وبحركة سريعة طوت الرسالة لئلا يطلع على مخاوفها وما كتبته لوالدها بصدد ذلك وعن علاقة حبهما... لم تكن تلك المرة الأولى التي تكتب فيها لوالدها عن حبها لـ «فيداس»... إلا أنها لم تستطع كبح زمام مشاعرها والتصريح بها دائمًا.

– ألا تسمحين لزوجك بإلقاء نظرة؟ ارتجفت ثم ضحكت لتخفي حرجها. كلا لا شيء يستدعي القلق إذ إن حب زوجها وثقته لا حد لهما، ولن يخالجه الشك أبدًا.

– لن أضيع وقتي في الكتابة حين يكون زوجي معي، هل أنهيت عملك؟ أومأ برأسه وقال:

– لم أستطع التركيز... لذلك قدمت لرؤية زوجتي... في إمكان العمل الانتظار. احمرّ وجهها فرحًا لكلماته الرقيقة فلاحظ ذلك وابتسم.

– ألم تعتادي كلماتي بعد؟ يا لك من حبيبة ساحرة! وإذ أمسك يدها وقبل جبينها قال:

– بصدد الكتابة، هل تسلمت رسالة والدك؟

– نعم شكرًا، لكن لا أتذكر أنني أعطيتك إياها لتقرأها. وإذ نظرت إليه باستغراب هز رأسه نفيًا وهو يقول:

– ليست تلك الرسالة يا «جودي»، بل واحدة أخرى وصلت اليوم، كنت في الطابق الأول حين تسلمتها وكنت متوجها إلى المكتب، دعوتك إلا أنكِ لم تسمعي، لذلك وضعتها جانبًا، على أية حال سأذهب لجلبها لك.

غادر الشرفة فوضعت رسالتها في جيبها بسرعة... كانت على وشك الانكشاف وتنفست بعمق لنجاحها في إخفاء الأمر... ما الذي سيحدث لو رأى خط يدها؟ لو أراد ذات مرة إلقاء النظر إلى إحدى رسائلها؟ نهضت من مقعدها عند عودة «فيداس» فسلمها الرسالة.

– شكرًا يا عزيزي. فتحت المظروف ولاحظت ابتعاد «فيداس» ليجلس على المقعد البعيد مسترخيًا. إلا أنه بقي يراقبها باهتمام، وفكرت «جودي» في أنه بدا وسيمًا وفي صحة جيدة بقميصه الأخضر، وهو هدية من «جودي» اشترته له عند ذهابهما إلى «أثينا» لقضاء عطلة نهاية الأسبوع.

لمَ كتب لها والدها رسالتين في فترة قصيرة؟ تساءلت في قرارة نفسها وسحبت الرسالة من المظروف. قطبت جبينها إذ قرأته فخاطبها «فيداس» متسائلا عن السبب.

– أقرأها يا «فيداس».

وناولته الرسالة بلا تردد، خاصة أنها اتفقت مع والدها ألا يذكر شيئًا خاصًا في رسائله يمنعها من إطلاع زوجها عليه، الأمر الذي أشاع الثقة بينهما.

– إنه يريد المجيء لقضاء عطلته هنا. وابتسم موافقًا لزوجته.

www.rewity.com

– ليس هناك ما يستدعي تقطيبك؟

– إنني محتارة، إذ كيف استطاع ادخار ما يكفي من المال للقدوم بهذه السرعة... من المستحيل أن يدخر ما يكفي خلال هذه الفترة القصيرة.

– حسنًا، يبدو لي أنه قادر على تدبير أجرة مجيئه على الأقل.

بقيت «جودي» صامتة، لئلا تكشف لزوجها الغني عما يجول في خاطرها. إلا أنها قالت أخيرًا:

– لابد من أنه لجأ إلى إحدى الشركات السياحية حيث يستطيع المرء قضاء إجازته ثم يقسط الدفع فيما بعد، إلا أنه أمر غريب، فوالدي يكره الاستدانة حتى في أقصى الحالات الضرورية، وهذه الزيارة ليست ضرورية بالتأكيد.

إلا أنها فرحت في الواقع لفكرة زيارة والدها خاصة أن رسائلها لم تحو الكثير من المعلومات عما يجري له ولزوجته منذ أن تركتهما... ولعله يخفي عنها شيئًا ليجنبها القلق وهي لا تزال في بدء حياتها الزوجية.

– إذا كان الأمر كذلك... فلا بد من وجود سبب معين يدفعه إلى زيارتك... وتفحص سطور الرسالة مرة أخرى.

«يجب أن أراكِ...»

– ترى هل هناك معنى خفي وراء تلك الكلمات؟ وقطب هو الآخر جبينه، ففكرت «جودي» كم من الرائع وجود زوج يشاركها كل شيء، حتى القلق من أجل أمر صغير كهذا. هزت «جودي» رأسها إلا أنها وقفت إلى جانب «فيداس» وقرأت معه الرسالة ثانية، وكررت «يجب أن أراكِ...» كما لو كان هناك خط تحت كلمة «يجب». فقالت:

– هناك شيء مُلحّ... وابتلعت ريقها بصعوبة. ثم استطردت قائلة:

– «فيداس» هل تظن أنه تعس جدًا وأكثر من السابق؟ هل تعتقد أن علاقته بـ «أليس» متدهورة؟

– لا أعرف يا عزيزتي، انتظري حتى يأتي... إذ لم يوضح لنا القلق شيئًا. وافقته، إلا أنها بقيت تفكر في الرسالة حتى المساء حين خاطبها زوجها بصرامة قائلاً:

– يكفي ذلك يا «جودي». كان صوته حازمًا وعطوفًا في الوقت نفسه وأضاف.

– هل تفهمين؟

– نعم، يا «فيداس». وشعرت بالضعف لأول مرة منذ عرفته فأضافت معتذرة:

– آسفة لذلك.

وصل والدها يوم الجمعة، وذهبت «جودي» مع «فيداس» بسيارته إلى المطار للقائه، وفي لحظة لقائها به كادت تفتح فمها لسؤاله عما حدث، إلا أنه وبهزة خفيفة من رأسه حاذر أن يراها «فيداس»، فمنعها من السؤال. وحتى لو لاحظ «فيداس» توتره ويأسه فإنه كان لبقًا ولم يشر إلى شيء، بل واصل الحديث معه طوال الطريق بشكل عادي. بينما جلست «جودي» في المقعد الخلفي قلقة وواجمة. وفضح وجهها مشاعرها، لذلك قررت أن تبذل جهدًا أكبر لتبتسم وتتصرف بشكل طبيعي. حدق «بيل» للحظات إلى المنزل وقال لـ «فيداس»:

– يا له من مكان جميل! ثم صمت فجأة وبدا وكأنه على وشك الانهيار. فتبادل «فيداس» النظرات مع «جودي» وخاطبها:

– قودي والدك إلى غرفته يا عزيزتي وسأكون جالسًا في الشرفة عند

www.rewity.com

عودتك. وما إن وصلا إلى الغرفة حتى قالت «جودي»:

– ماذا حدث؟ إنها «أليس» بالتأكيد، لكن ما الذي فعلته؟ صمتت حين لاحظت والدها يهز رأسه نافيًا. وسعل عدة مرات قبل أن يقول:

– إنها ليست «أليس»، «جودي» أعدّي نفسك لتقبل صدمة كبيرة.

– قل لي بسرعة يا والدي.

– «حنة»... (قال بهدوء) في طريقها إلى البيت.

– البيت؟ وللحظة فشلت «جودي» في فهم مغزى ما قاله والدها، فاكتفت بالغضب قائلة:

– لماذا تعود إلى البيت؟ هل هي مريضة؟

– «جودي».. وصمت لحظة ليمنحها فرصة فهم كلماته بدقة ثم أضاف:

– إنها عائدة إلى البيت لتتزوج «فيداس».

شحب وجه «جودي» وتشنجت أصابعها. كان الهدوء السائد في الغرفة أكثر من مجرد صمت. كان غشاء من الرعب التف حولها، رعب حصرها بين فكيه مثل وحش كبير. رعب منعها حتى من التفكير بوضوح. عبثًا حاولت استعادة صورتها مع زوجها وسعادتهما معًا. حاولت تصور ألمه العظيم عندما يطلع على الحقيقة إلا أنها فشلت. نظرت إلى والدها، واقفًا هناك ووجهه شاحب، محدقًا إليها بصمت. فأحست بقطرات العرق تتناثر على جبينها. وظلت تكرر بما يشبه الهذيان:

– إنه يحبني ورغم أنه سيدين موقفي ويحتقرني وربما سيرميني خارجًا، إلا أنه لن يكرهني أبدًا. أغلقت عينيها. لابد من أن تعاستها ستنتقل إلى زوجها أيضًا، لأن حبه لها كان قويًا عميقًا، وقد صرح بأنه باق إلى

الأبد، وهو محق في قوله. بدأ والدها الكلام إلا أنها حاولت التركيز... نعم يجب أن تركز لتسمع كل شيء. سمعته يقول:

– علمت بأن خطأ ما حدث حين تسلمت «أليس» رسالة من «حنة» ولاحظت تعابير وجهها، إلا أننا تشاجرنا في الليلة السابقة ولم أسألها شيئًا... على أية حال لا أتوقع أن تكرر «أليس» شيئًا يسيء إلى صورة ابنتها المثالية. وتوقف عندما فتحت «جودي» فمها لتقول شيئًا، ثم غيرت رأيها لتترك لوالدها فرصة توضيح ما حدث.

– ثم وصلت رسالة أخرى وقرأت «أليس» نصف الرسالة، ثم نهضت عن كرسيها لتذهب إلى المطبخ. قررت أنني يجب أن أرى هذه الرسائل يا «جودي».. انتابني إحساس غريب بصددها... إحساس حذرني من مغبة ما سيحدث؛ لذلك حين ذهبتُ لزيارة أختها، ذهبت إلى غرفة النوم وفتحت الخزانة وبحثت عن الرسائل... وصمت إذ علم بأنه كشف لـ «جودي» الآن عن مدى بعده عن زوجته وعدم ثقة أحدهما بالآخر. واستطرد قائلا:

– كانت الرسالة الأولى طويلة اشتكت فيها «حنة» من المخرج والمنتج وبقية الممثلين. لم تكن على علاقة جيدة بأي واحد منهم، ورغم أنها لامت الجميع كان من الواضح أن السبب يكمن في سلوكها الخاطئ. قال لها المنتج بأنها متعجرفة واتهمها بعدم التعاون مع الفريق العامل، وهو أمر يحدث لأول مرة في أثناء تمثيل أحد أفلامه، وأكد لها أن في إمكانه الاستغناء عنها فصرخت في وجهه وهددته بترك المكان فورًا. وأعطتني الرسالة الانطباع بأنها كانت موهومة بصدد التمثيل، وأنها فقدت اهتمامها ورغبتها حالما بدأ العمل الحقيقي. سألت «جودي» وهي

لا تزال شاحبة ترتعش حتى أخمصي قدميها:

– ماذا عن الرسالة الثانية؟

– كتبت تخبر والدتها بأنها ستترك العمل والفيلم وأنها ستعود إلى البيت للزواج بـ «فيداس»، هددها المنتج بمقاضاتها إلا أنها ردت بأن الأمر لا يهمها، فزوجها المليونير سيدفع المصاريف... وأثارتني ثقتها بنفسها إلى حدٍّ كبير، يبدو لي أنها واثقة بأن «فيداس» باقٍ في انتظارها.

– لا شك في ذلك،إذ إن «حنة» لا تعرف شيئا... ولم تكن واعية باستعجال «فيداس» في حينه... وانهارت «جودي» باكية. لابد من أن هذا التطور سيساعد على تقريب نهاية زوجها، رغم أنها لا تعرف هذا بالتأكيد.

– قالت «حنة» في رسالتها إنها ستصل إلى «إنجلترا» خلال ثلاثة أسابيع، وستبقى في البيت فترة قصيرة إلى أن يتم الزواج. وأنها قررت البقاء في «إنجلترا» مع «فيداس» ولن تذهب معه إلى «اليونان»... ووعدت والدتها بشراء ملابس ثمينة لها إضافة إلى بيت كبير تنتقل للعيش فيه بعيدًا عن الشحاذ الذي لا تعرف حتى الآن لمَ قبلت الزواج به.

أرادت «جودي» التعاطف مع والدها في لحظات ألمه. التعاطف معه ضد كلمات «حنة» المؤلمة... إلا أنها ولانشغالها بمصيبتها بدا لها وكأن مشكلة «بيل» بسيطة إلى جانب ما سيحدث لها. ها هي رغم حبها العميق لزوجها ستكون من يسبب له أشد الألم. عبدها «فيداس» وأحبها ووثق بها إلى حدٍّ لا يصدق. آمن بأنها رائعة في كل مجال، واقتنع بأنها لا ترتكب خطأ في حقه. وكلما تحدث عن حبهما أشار إلى أنه معجزة، وكم مرة قال ليتمجد اليوم الذي وافقت فيه أن تكون زوجة له! سيكون

ألمه وجزعه أشد مما ستحس به بالتأكيد، وبكت فترة طويلة إذ استطاعت أخيرًا إدراك حجم غلطتها. نعم سيكون ألمه أعظم لأنها ستحطم الصورة المثالية للزوجة المحبة.

– ما الذي سأفعله يا والدي؟ بقي لـ «فيداس» ثلاثة شهور فقط، وهو يحبني كثيرًا...

– أدري، أدري... فرسائلك لا تشرح غير ذلك. صمتت محاولة التفكير. لابد من وجود طريقة تحمي بها زوجها، واختلطت الأفكار في رأسها وداخت لتعددها دون الاقتناع بجدوى أي واحدة منها.

– كيف استطعت المجيء إلى هنا؟ تساءلت بطريقة غامضة إذ كان ذهنها محتشدًا بأفكارها المشوشة ثم أضافت:

– أعني ما الذي قلته لـ «أليس»؟

– أخبرتها بأنني أعاني الضعف منذ فترة طويلة، لذلك ذهبت لرؤية الطبيب فنصحني بأخذ إجازة... وأخبرتها بأنني ذاهب إلى شمال «إنجلترا» لقضاء فترة أسبوع معك. لم تحتجّ «أليس» ولابد من أنها سُرّتْ للتخلص مني أسبوعًا كاملاً. مسحت «جودي» دموعها بظاهر كفها فاكتأب والدها أكثر لمرآها. قال:

– يا طفلتي، كم تمنيت لو أنك لم تري «فيداس»...

– كلا يا والدي، لا تقل ذلك... إنه أجمل شيء حدث في حياتي... لن أتمنى أبدًا عدم لقائي به... إن ذكرياتي معه جميلة ورائعة.

– رائعة، نعم... حتى الآن... ابتلعت ريقها وبدأت البكاء من جديد. وقالت:

– يجب أن أفكر في حلٍّ ما... يجب ألا أؤذيه... ولن أؤذيه...

www.rewity.com

– لو تستطيعين إخفاء رسالتها أو التخلص منها... بدأ «بيل» يقول إلا أنه هز رأسه نفيًا ثم تابع:

– كلا... لن يكون هذا ممكنًا... أليس كذلك؟

– إخفاء الرسالة؟ وامتلكها الرعب، إنها في طريقها لارتكاب خدعة أخرى... وأردفت:

– كلا، لن يكون ممكنًا.

– ليس هناك إذن ما تستطيعين عمله. قالت «حنة» إنها ستكتب لـ«فيداس» بعد عودتها إلى البيت مباشرة. وواصل حديثه بعد لحظة من الصمت:

– الظاهر أنك مارست لعبتك ووقعتِ ضحية لها، ومنحتِ «فيداس» أكثر مما في إمكان «حنة» أن تمنحه... وإذا ما أردتِ مواصلة الاحتيال حتى النهاية لتجنبي «فيداس» ألمًا مخيفًا خلال أسابيعه الأخيرة المتبقية، فإنك في رأيي إنما تفعلين الشيء الصحيح.

– هذا ليس ممكنًا! كررت «جودي» جوابها هذا بآلية، لكن والدها لاحظ خلو صوتها من لهجة الاستنكار الأولى... فهل الأمر ممكن؟ ألحّ «بيل» مشجعًا إياها:

– إذا ما أهملت رسالتها الأولى فليس من المحتمل أن تكتب رسالة ثانية. أجابت «جودي» بكل اقتناع.

– ستكتب... إني متأكدة تمامًا.

– إذن دعينا نفترض أنها ستكتب رسالة ثانية... فإذا ما أهملت الثانية فلا بد من أنها ستدرك وتتقبل حقيقة أن «فيداس» لم يعد يهتم بها. إلا أن «جودي» هزت رأسها... كلا لن تتخلى «حنة» عن «فيداس»

بهذه السهولة. قد تقرر المجيء لرؤية «فيداس» في النهاية، وزاد رعب «جودي» من صورة المستقبل. «حنة» تصل إلى البيت فتكشف خدعتها وتفضحها أمام زوجها الواثق بها المحب، وزادت سرعة دقات قلبها خجلا وخوفا.

– يا والدي... كيف تجاهلت إلى هذا الحد قوة القدر واحتمال افتضاح الأمر؟ إذ لم يخطر ببالي ولو لحظة احتمال عودة «حنة». اعترف والدها مؤيدًا:

– كذلك لم يخطر ببالي. كانت متحمسة لتمثيل الفيلم وأن تصبح نجمة شهيرة إلى حد خدعتنا... إنها لغز تلك الفتاة ولا أحد يعرف نياتها الحقيقية، خذي مثلا موقفها من والدتها... للحظة تتصرف وكأنها تعبدها ثم تأتي أيام تهملها فيها ولا يهمها إذا كانت «أليس» حية أم ميتة. قطبت «جودي» جبينها ثم انتبهت إلى طريقة جلوسها وإهمالها حضور والدها، فابتسمت لأول مرة معتذرة:

– آسفة جدًا يا والدي، لابد من أنني على وشك الجنون، إنني لا أعرف ماذا أفعل، هل أعترف له بكل شيء؟ هل تعتقد أنه سيفهم ويغفر لي لأنه يحبني؟ هز والدها رأسه لا نفيًا بل دلالة على الشك.

– كيف أستطيع نصحك يا «جودي»؟ قد يغفر لك... لكن هل تظنين أن حياتكما ستبقى كما هي بعد اعترافك؟ تمتمت بعد صمت طويل:

– كلا لن تكون مشابهة للحاضر، إنه يعتقد أنني كاملة في كل شيء... لن يتصورني محتالة إطلاقًا.

– الحل الوحيد يا «جودي» هو إخفاء أية رسالة تبعث بها «حنة».

– ولكنها قد تقرر المجيء بنفسها لرؤية «فيداس» خاصة وأنها تخلت

عن عملها.

– هل تعتقدين أنها ستفعل ذلك حتى بعد أن يهمل رسائلها؟

– «فيداس» ليس من النوع المهمل للرسائل، و «حنة» تعرف ذلك، لقد عبر لها في السابق عن تقديره الجزيل لإنقاذها ابن أخيه من الغرق. وأخبرها بأن عرضه الزواج تعبير عن امتنانه. انهارت «جودي» وظهر عليها التعب، فصمتت ثم واصلت الحديث بعد لحظات:

– إنك تعرف كل التفاصيل حيث أخبرتك منذ البداية، كلا، لن تقنع «حنة» إذا لم تُسلَّم أي جواب. كل ما يهم «حنة» هو المال، هذا ما أخبرتني به، وإذا لم يرد «فيداس» على رسائلها، فإنها ستغتاظ وستجعل همها الأول اكتشاف السبب.

– أظن أنك محقة... ماذا إذا أرسل لها «فيداس» جوابًا يخبرها فيه بأنه غير رأيه؟ وتوقف عن الكلام إذ رفعت «جودي» رأسها بحدة.

– آسف، كنت أفكر بصوت عال. قال ذلك شاعرًا بالحرج للحماقة الجديدة، ونظر إلى ساعة يده فقالت «جودي»:

– يجب أن ننزل الآن إذ سيتعجب «فيداس» لبقائنا فترة طويلة. ولاحظت «جودي» وجهها في المرآة فقالت:

– سيرى أنني كنت أبكي. ما الذي أقوله له؟ سأل «بيل» بتردد:

– هل يعرف عني وعن «أليس»؟ فأومأت «جودي» برأسها وهي تقول:

– أخبرته بكل شيء... أرجو ألّا تمانع يا والدي؟

– استخدمي الأمر كحجة... أخبريه بأنني حدثتك عن مشاكلي معها، فتعاطفتِ معي وبكيتِ بسبب حزنك العميق وتجاوبكِ مع أحاسيسي.

* * * * *

- 6 -

– اذهبي أنت أولا يا «جودي» وأخبري «فيداس» بأنني أُرتب ملابسي، أُفَضل عدم وجودي هناك حين توضحين له سبب بكائك... لابد من أن الوضع سيكون مربكًا للجميع. أومأت برأسها موافقة وفتحت باب الغرفة. وقالت:

– سأخبره بأنك تغير ملابسك استعدادًا للعشاء... إذ إنه من واجب «سبيروس» ترتيب متاعك.

– حسنًا... وتوقف لينظر حوله لأول مرة مأخوذا بفخامة المكان.

– إنه مكان رائع جدًا يا «جودي»

– نعم، لكنه لا يساوي شيئا دون «فيداس» يشاركني إياه.

كانت على وشك البكاء من جديد، فغادرت الغرفة مسرعة وركضت إلى غرفتها لتغسل وجهها قبل أن تذهب لرؤية زوجها في الشرفة، وحدق إليها مدهوشًا وهو يقول:

– قضيت وقتًا طويلاً... عزيزتي، ماذا حدث؟ لم تبكين؟ هل يعاني والدك مشكلة؟

وكان صوته حنونًا عطوفًا فيئست من فكرة الكذب عليه من جديد، ولكن ماذا أمامها غير ذلك؟ إنها كذبة بيضاء لا سيما وأن والدها كان تعسًا فعلاً مع زوجته. كرر «فيداس» سؤاله إذ لاحظ صمتها الطويل ثم بدأت الكلام. إلا أن قصتها كانت قصيرة وانذهل «فيداس» لحزنها وبكائها إلا أنه عبر لها عن تعاطفه معها ومع والدها. ثم عندما لم تتوقف عن البكاء أمسك بها بين ذراعيه فجعلها أكثر تعاسة... إنها المرة الأولى التي

WWW.REWITY.COM

تبدو فيها بمثل هذه التعاسة، وحار هو فيما يفعله كي يهدئها، وأخيرًا هدأت فقال لها:

– عزيزتي، ليس هناك الكثير نستطيع عمله، لكننا نستطيع مساعدته على قضاء وقت جميل معنا، سنخطط لبعض الزيارات وسنتبادل الحديث، كذلك تلك الرحلة السياحية، ليس في إمكاننا الذهاب إلى عدة جزر، إلا أننا نستطيع الذهاب على سطح السفينة «بايروس» إلى جزيرة ثم نستقل الطائرة للعودة إلى هنا وقضاء الأيام الأخيرة معه. وقربها من صدره أكثر وقبّل جبينها، ثم انتظر حتى استعادت هدوءها.

– إنك طيب وعطوف... إنني أحبك... صَدِّق ذلك مهما حدث.

– حبيبتي – وأبعدها عنه يتفحص ملامحها – يا له من شيء غريب تنطقين به! كيف أشك في حبك؟ أحست «جودي» بالخوف ونظرت إليه كما لو كانت غير واعية لما قالت فقال لها:

– لقد أثبتُّ لي مرارًا مقدار حبك لي. وأخيرًا استطاعت أن تبتسم له إلا أنها بقيت غير مرتاحة، وسُرَّتْ لرأى والدها قادمًا ليجتمع بهما. فلاحظ «فيداس» نظراتهما المتبادلة فقطب جبينه، وبدأت «جودي» الحديث بنعومة رغم إدراكها لارتباك الجميع... ربما كانت تتخيل ما قد يحدث... كلا! إن الشك بدأ يزحف بينهما. هل انقضت أيام السعادة؟ لا تزال أمامها أيام سعيدة ما دامت «حنة» لا تزال خارج «إنجلترا». إلا أن «جودي» مقتنعة بأن خوفها يمثل حاجزًا قويًا يفصل بينها وبين زوجها. وسمعت صوت زوجها قائلاً:

– إذن وافقنا جميعًا أليس كذلك؟ هل تفضلين ذلك يا عزيزتي؟

– أفضّل ماذا؟ ورمشت بعينيها إذ لم تدرك سبب سؤاله واستطردت:

– لم أفهم ما الذي عنيته يا «فيداس». واحمرّ وجهها، ومرة أخرى ذعرت للتعبير المرتسم على وجه زوجها.

– كنا نناقش عطلة والدك... هل أنتِ بخير يا «جودي»؟ ثم نظر إلى «بيل» وكأنه على وشك رؤيته متلبسا بتبادل النظرات السريعة مع ابنته.

– نعم، بالطبع، كنت أفكر في شيء آخر، هذا كل ما في الأمر...

– حسنًا، كنا نتحدث عن الرحلة السياحية القصيرة التي تحدثنا عنها من قبل، سنأخذ الطائرة إلى «أثينا» غدًا ثم نستقل السفينة «بايروس» ظهرًا. هذا ما ناقشناه... هل ستكونين مستعدة يا عزيزتي؟

– نعم يا «فيداس». ولم يكن إعداد الملابس مشكلة، إذ اشترى لها «فيداس» كل ما خطر ببالها ولكل مناسبة، كما أهداها بعض المجوهرات الجميلة التي ستحتفظ بها طوال حياتها.

كان والدها قد ترك «لندن» في الساعات المبكرة من الصباح ووصل مطار «كورفو» الساعة العاشرة والنصف بعد أن غير الطائرة في «أثينا»، وبعد لقائهم بقوا في «كورفو» لشراب القهوة قبل بدء الرحلة عبر الجزيرة إلى بيتهم. كان والدها مذهولاً ومسحورًا بالجمال المحيط به رغم سوء الأخبار التي كان يحملها لابنته.

وإذ جلسوا جميعًا في الشرفة في انتظار الغداء، ذكر «بيل» لـ«فيداس» جمال الجزيرة وسحرها الخاص. واعترف وهو مسترخ في كرسيه المريح:

– إنها المرة الأولى التي أسافر فيها إلى الخارج، كما لم أحلم لحظة واحدة برؤية مكان جميل كهذا، إنها سفرة رائعة. ولم يكن لصوته وقع ما عاناه من آلام، بل بدا عليه التصميم مثل «جودي» على عدم ارتكاب أي خطإ

آخر يزيد من شكوك «فيداس».

وافقه «فيداس» الرأي بصدد الجزيرة وابتسم لزوجته بحب... ابتسامة تعرفها جيدًا ولا تزال تثير فيها رعشة الحب الأول.

– سُرّت «جودي» لزيارة «كاليمونز» أيضًا.

– حيث قضيتما شهر العسل؟

تساءل «بيل» ونظر إلى ابنته بمودة، وبدا عليها الفرح من جديد فعادت إلى ملامحها فتوتها وشبابها. تألقت بشرتها الناعمة الوردية وتبادلت الابتسامة مع زوجها، ابتسامة حب ومودة... وعلمت أنهما لو كانا وحدهما لتطور الموقف بينهما إلى ما هو أكثر من مجرد تبادل الابتسامات...

– نعم... همست حالمة... مجيبة تساؤل والدها وأضافت:

– كان شهرًا رائعًا. ووافقها زوجها الرأي فقال:

– سنذهب إلى هناك ثانية قبل حلول الشتاء.

نظرت نحوه بسرعة، ثم استدارت لتنظر بعيدًا لئلا يقرأ ما يجول بخاطرها. هل هي زلة لسان؟ لابد من أنها كذلك... إلا أنه حذر عادة فيما يقول وما يعد به ليستطيعا دائمًا التمتع بالحاضر وليس ما يقدمه المستقبل... وبقيت تحلم بالجزيرة... بعد الغداء، جلسوا في الحديقة مدة ساعة، ثم اقترح «فيداس» التوجه مع «بيل» للسباحة في البحر. سأله:

– هل تستطيع السباحة؟

– نعم، لكنني لم أجلب بذلة السباحة معي.

– سأعيرك واحدة. ثم انصرف ليجري بعض الاتصالات الهاتفية وليرتب أمر سفرهم في اليوم التالي، ثم التفت وكأنه تذكر شيئًا:

– «جودي» هل تستطيعين طبع رسالة لي؟ أتممت كتابتها وتوقيعها، كل ما عليك عمله هو طبعها على الآلة الطابعة ثم وضعها في مظروف، وسنرسلها حين نخرج.

توجهت إلى مكتبه فورًا بينما استخدم «فيداس» الهاتف الموجود في الصالة. كانت الرسالة هناك إضافة إلى الورقة المذيلة بتوقيعه. جلست «جودي». لن يتطلب منها الأمر أكثر من خمس دقائق ولم تستغرب توقيعه الرسالة قبل طباعتها. لقد فعل ذلك من قبل خاصة إذا كانا على وشك الخروج... ليتوفر لهما الوقت لإرسال الرسالة بسرعة. وضعت الورقة في الآلة الطابعة ثم خطرت في ذهنها فكرة مجنونة، وامتلكها الرعب وذعرت لجرأتها. مستحيل! لكن هل الأمر مستحيل فعلاً؟ إن الحالات اليائسة تتطلب حلولا يائسة... بذلت جهدًا هائلاً لتستعيد هدوءها وتناولت ورقة أخرى ثم طبعت ما كتبه «فيداس» بخط يده. إلا أنها كانت طوال الوقت مشغولة بالتفكير في أمر الورقة الموضوعة جانبًا والتي تحمل توقيع «فيداس». هل سيكون التوقيع منقذًا لها؟ هل تستطيع تنفيذ خطتها بعد أن استسلمت لمصيرها؟ عجبت لهدوئها إذ وقفت بعد لحظات إلى جانب «فيداس» حاملة بيدها الرسالة.

– آسفة يا عزيزي، ارتكبت خطأ في أثناء طباعتي الرسالة فغيرت الورقة، وطبعتها ثانية. ثم وضعت الرسالة أمامه على المنضدة وناولته القلم فوقعها.

– شكرًا «فيداس». وأحنت رأسها فقبّل جبينها قائلاً:

– إنني أحبك... عادت «جودي» إلى المكتب ووضعت الرسالة في المظروف المعنون، واحتفظت بالصفحة ذات التوقيع في مكان أمين وستستعملها في

WWW.REWITY.COM

أقرب فرصة ملائمة. كان «بيل» مسحورًا بالساحل ومأخوذًا بمرأى الجبل والتلال المحيطة به، إضافة إلى أشجار الزيتون وخضرتها القاتمة. وكرر عدة مرات وهم يتجولون على الساحل بعد أن تركوا السيارة.

– إنه مكان لا يوصف بالكلمات. ضحك «فيداس» واقتبس ما كتبه الكاتب الإنجليزي، «لورانس دوريل»:

– «يضطجع في غيبوبة... يجرجره كماله غير العادي». كما وصفها كاتب آخر.. «ملتفة بغطاء الطبيعة الذهبي، على حافة الغروب في جزيرة بحرها منتش».

وسبحوا بتكاسل في المياه الدافئة ثم تمددوا على الساحل وهم يتجاذبون أطراف الحديث بهدوء. قال «فيداس» مخاطبًا «بيل» بعد أن لاحظ احمرار بشرته:

– عليك أن ترتدي شيئا آخر الآن، إذ إن التعرض للشمس فترة طويلة وللمرة الأولى يضر أكثر مما ينفع.

وناولت «جودي» والدها منشفة السباحة الكبيرة فوضعها على كتفيه. كانت عيناه حالمتين، وثبتهما على الأفق البعيد حيث ظل سفينة بيضاء يمخر عباب البحر. نسيت «جودي» متاعبها فأحست بالعطف على والدها لزواجه بعد طول وحدة بامرأة شرسة، ومع ذلك لو لم يتزوج «أليس» لما استطاعت هي الزواج بـ «فيداس» لسبب بسيط هو أنها ما كانت ستلتقي به. يا له من قدر غريب! وبقيت تفكر في حياتها الحاضرة والمستقبل... المستقبل القريب... حيث لم يبق أمام «فيداس» أكثر من ثلاثة شهور... ثم الوحدة... وسنوات طويلة تمتد لتغلفها الذكريات إلى أن يحل النسيان. النسيان؟ أبدا! إلا أن الذكرى ستضمحل، هذا أمر

محتوم، ولن يبقى حبيبها «فيداس» مرتسمًا في ذاكرتها بحضوره الفتي، ممسكًا بيدها، أو مشاركًا إياها الحب. سيكون هناك لكن بعيدًا عن متناولها... ويبتعد أكثر فأكثر بمرور الوقت.

وضعت يدها على عنقها لتريح ألمها القاتل... نظر إليها «فيداس» متعجبًا، إلا أنه ابتسم حين رأى وجهها يسترخي، ومدت يدها فالتقطت حفنة من الرمل سمحت لها بالتناثر من بين أصابعها الطويلة. ونظرت بعيدًا إلى البحر الذي يعكس أشعة الشمس، وراقبت ألوانه المتغيرة من الأزرق الفاتح إلى الأرجواني ثم اللؤلئي الشفاف. وإذ مرت اللحظات صامتة باستثناء تبادلهم الكلام في أوقات متباعدة، أقسمت «جودي» ألا تدع أية قوة تفصل بينها وبين زوجها، وزادها ثقة بنفسها احتفاظها بالورقة المؤقعة والمخفية في مكان أمين... كان هناك مطعم قرب الساحل، وبناء على اقتراح «فيداس» توجهوا نحوه.

– أشعر بأنني أحتاج إلى شيء أكثر من الشاي والكعك... ماذا عنكما؟

– أشعر أنا الأخرى بذلك... ثم قالت لوالدها:

– تستطيع تناول الفطائر أو حتى وجبة في مطعم إذا أردت.. ثم نظرت إلى زوجها متسائلة:

– هل يستطيع والدي طلب وجبة طعام كاملة الآن؟ قال «فيداس»:

– لا أرى سببًا يمنع ذلك. واستدار نحو النادل إلا أن «بيل» اعترض:

– لا أريد وجبة كاملة يا «جودي» إذ تناولت طعامي... شكرًا، يكفيني الشاي والفطائر. وطلب «فيداس» الكعك مع الفراولة المغطاة بالقشدة. وأكدت «جودي» لوالدها – مراقبة إياه – ضرورة أن يتذوق الفاكهة قائلة:

www.rewity.com

– ستحب القراولة...

– أنت محقة... إنها لذيذة جدًا.

– إنها برية... تنمو هنا ويرسل الكثير منها إلى «أثينا». وذكر «فيداس» فخورًا:

– تهطل على الجزيرة كمية كبيرة من الأمطار، لا كما في باقي الجزر اليونانية، وهذه نعمة تمنحنا الخضرة والفاكهة الوفيرة. وتوقف لحظة مراقبًا سطح البحر المتوهج تحت الشمس الساطعة.

– للأرض رائحة طيبة بعد أن تمطر، خاصة في الغابات.

– استطعنا أن نشم رائحة الزعتر النامي في جبال «ألبانيا» ذات مرة، بعد المطر. هل تذكر يا «فيداس»؟ ونظرت إلى زوجها بتعبير متسائل، فأومأ موافقًا. كيف يستطيع النسيان؟ وأجابتها نظرته الرقيقة. ففي تلك المناسبة، كانا يتمشيان بعد العشاء وبعد أن توقف المطر تحت ضوء القمر والنجوم الساطعة بوضوح غريب. كان ذلك سحر ليل الشرق، النجوم والقمر والأفق الغامض بلونه الأرجواني... أثار مشاعرهما ورغبتهما في الحب وبعد أن توقفا عدة مرات ملتصقين ببعضهما البعض قال «فيداس»:

«هل تريدين الاستمرار يا عزيزتي، أم نعود؟» ابتسمت وهمست الجواب المتوقع، فأمسك بيدها وعادا إلى بيتهما. قال الآن:

– نعم يا عزيزتي. كان قد نسي للحظة وجود والدها معهما ونظر إليها نظرة ذات معنى وأضاف:

– أتذكر... بكل وضوح. فاحمرّ وجه «جودي» وأحنت رأسها خجلا. استدار والدها لينظر بعيدًا، مكتئبا لمرأى مستقبل ابنته، وأقلقه ما

سيحدث لها وما ستعانيه من ألم. أراد مباحثة الأمر معها، وقبل العشاء جاءت «جودي» إلى غرفته لتتحدث إليه عدة دقائق قبل مصاحبة زوجها. أخبرت والدها بتصميم ووضوح:

– سأجتاز الأزمة، ويا والدي... أنا مستعدة الآن لذلك، لن يصدمني شيء. لقد أدركت منذ البداية ما يعنيه الزواج بـ «فيداس»، وأظن أنني حتى قبل الزواج علمت بأن العبء سيكون ثقيلا ولن أتحرر منه أبدًا. ولدهشتها لاحظت انهمار دموع والدها، واستدار ليواجهها بعد أن كان ينظر إليها خلال المرآة حيث وقف يمشط شعره:

– لكن يا «جودي»... يا عزيزتي... لم يكن الأمر يستحق هذا العذاب كله، كلا، تستطيعين الإنكار وأنا متأكد أنك مقتنعة حاليًا بصحة ما تفعلين... وصمت قليلاً فمسح دموعه وقال:

– حين يحل الوقت يا عزيزتي، أخشى أنك ستعانين الانهيار العصبي. فكرت في كلماته ثم هزت رأسها:

– سأكون قوية يا والدي. قال بعد أن استجمع رباطة جأشه:

– وماذا عن «حنة»؟ إنها ستثير المتاعب... مع ذلك لا أظن أنها تستطيع تحطيم زواجك بـ «فيداس» فهو يحبك كثيرًا.

– ذلك ما توصلت إليه منذ دقائق وفي أثناء تغيير ملابسي، لن تستطيع التفريق بيننا، إلا أنها ستخلق هوة تبقى قائمة بيننا إلى النهاية، لن أدعها تأتي هنا يا والدي، أعرف طريقة تمنعها من ذلك... إذا استطعت تسلم رسالتها الأولى والأخيرة. نظر إليها «بيل» محتارًا:

– لا أفهم ما تعنين يا «جودي»... إنك هادئة جدًا.

– لست هادئة في داخلي، بل بالعكس أنا خائفة، مذعورة... ليس لما

www.rewity.com

سيحدث، لكن لما سيحدث إذا فشلت.

– ماذا تعنين؟ وهز رأسه آليًا كما لو أدرك أنها عاجزة عن تنفيذ شيء حاسم.

– لا أستطيع إخبارك الآن، لأنك ستقلق وتعاني خوفًا من فشلي ومواجهتي عاقبة خطوتي التالية.

– إذن ما تريدين عمله سيزيد من سوء الحال بينك وبين «فيداس»؟!

– إذا ما اكتشف الأمر نعم.

– هل يستحق الأمر المخاطرة يا «جودي»؟

أومأت برأسها شاحبة، لكن مصممة على ما ستفعله، ونظرت إليه بعينين واثقتين، فتنهد لمرآها ولمح تصميمها فأدرك أنها ستنجح في مسعاها مهما كانت العوائق.

– أقسمت أن أفعل أي شيء لحماية زوجي من الألم، ولن أنقض ذلك القسم أبدًا. قال لها بلهجة حنونة:

– إنك فتاة رائعة يا «جودي» دعيني أساعدك حين يحل الوقت ياعزيزتي. ابتسمت وأومأت برأسها وإذ أحاطها بذراعيه قبلت خده امتنانا.

– هيا يا والدي، ابتسم! إن سعادة «فيداس» محسوبة بالدقائق.

– هل تعتقدين أنه سعيد فعلا؟ قالت بثقة لمسها والدها بوضوح:

– نعم، إنه ليس خائفًا يا والدي، وقد قَبِل بالمحتوم ولأننا معًا فإنه يشعر بالسعادة.

– هل ألمح لكِ ولو مرة واحدة عما سيحدث؟ وحين هزت رأسها واصل:

– أشعر بأن موقفه غير عادل إلى حدٍّ ما.

– لا تَلُمْه يا والدي... ألا ترى أنه إذا حذرني فستنتهي سعادتنا؟ وافقها والدها:

– بلى، أفهم الآن، سيعلم أنكِ محطمة القلب... لذلك يمنحك فرصة السعادة حتى النهاية.

– هذا صحيح.

– أتساءل عما إذا كان مدركا تمامًا لطبيعتك الطيبة المتفهمة.

– إنه يدرك تمامًا، هذا ما يقوله لي طوال الوقت. وضحكت سائرة مع والدها إلى غرفة الطعام.

استيقظوا صبيحة اليوم التالي مبكرين وبعد تناول الإفطار ذهبوا بالسيارة إلى المطار ثم استقلّوا الطائرة إلى «أثينا»، ولما كان لديهم متسع من الوقت قبل إبحار السفينة أخذا «بيل» إلى «الأكروبولس»، حيث وقف مع آلاف السُّيّاح، متعجبا ومتفحصا أحد أجمل الأبنية في العالم، ثم استقلّوا سيارة الأجرة في جولة سياحية سريعة حول المدينة، مدينة تستقبل آلاف السياح يوميًا إضافة إلى كثافة سكانها، وبدا من المستحيل عدم حدوث اصطدام في كل دقيقة. إلا أن سائقي السيارات ماهرون إلى حد يؤمّن سلامتهم بالإضافة إلى وجود عدد كبير من شرطة المرور.

– إنهم رائعون. أبدى «بيل» استحسانه بعد أن غادروا سيارة الأجرة ومشوا نحو ساحة «أمونيا»، وأشار شرطي المرور إلى توقف السيارات فعبر الواقفون على جانبي الشارع بسرعة دفعت «بيل» للقول:

– إنه أمر لا يصدق. فضحك «فيداس»:

– إن الوقت الوحيد الذي نستعجل فيه هو حين نعبر الشارع، أما بقية

www.rewity.com مـرمـوريـة

الأعمال فنؤديها ببطء... ربما يعود سبب ذلك إلى حرارة الجو وطبيعة مناخنا. إلا أن «جودي» اعترضت قائلة:

– أنا متأكدة أنك عملت بجد في السابق.

– شكرًا يا حبيبتي، ربما في الماضي، لكن ليس الآن... ثم أضاف مداعبًا:

– أو على الأقل ليس منذ زواجي بفتاة لا تطيق مفارقتي عدة دقائق.

– ستلاحظ يا والدي أن زوجي دعيٌّ كبير. إلا أن «بيل» نظر إلى ابنته مبتسمًا، وقال مداعبًا إياهما بدوره:

– تخليت عن محاولة فهمكما معا... أخبراني كيف تحافظان على مرحكما؟

استدعى «فيداس» سيارة أجرة ليذهبوا إلى «بايروس» ميناء «أثينا»، وصعدوا إلى سطح السفينة السياحية البيضاء الجميلة، وهي واحدة من سفن «فيداس»... حيث حجز لهم مقصورتين مع شرفتيهما الخاصتين.

همس «فيداس» وهو يمسك بذراعها ويسير إلى جانبها:

– حبيبتي... إنك ترتجفين؟ أجابت باختصار:

– لشدة الإثارة. فضحك «فيداس» وقال:

– إنك فتاة صغيرة. ثم توقف ليحيّي اثنين من ضباط السفينة كانا ينتظران عند أعلى السلالم ليرحبا بالمسافرين. أخبرته وهي تبتسم للضابطين:

– أشعر بأنني امرأة مهمة جدًا... وليس فتاة صغيرة. وأضافت:

– أحس وكأنني ملكة. وتم اقتيادهم إلى المقصورتين وكانت أمتعتهم سبقتهم إلى هناك حيث أرسلها «فيداس» قبلهم، من «أثينا» مباشرة. قالت

«جودي» لـ «فيداس» بعد عدة دقائق من دخولهما غرفتهما المشتركة:

– سأذهب لرؤية والدي والاطمئنان عليه، إذ لابد من أنه يشعر بالغربة وحده.

– إذا كان هناك أي شيء أستطيع القيام به أو يحتاج إليه أخبريني به وسيتم تنفيذه.

– شكرًا أيها العزيز... إنه للطف عظيم منك أن تأخذ والدي في هذه الرحلة، سيتذكرها طوال حياته.

– كان عليّ القيام بذلك إذ بدا تعيسًا، ولأنني رجل سعيد في زواجي أفهم تمامًا ما يعنيه الزواج الفاشل. خرجت دون أن تجيبه لامتنانها، وتمالكت نفسها قبل دخولها غرفة والدها البعيدة عن غرفتهما بعدة أمتار.

– هل كل شيء على ما يرام؟ نظرت حولها وأحست فخامة المكان، وتمنت لو يستطيع والدها نسيان كل شيء إلا التمتع بالرحلة.

– كل شيء رائع... إنها سفينة جميلة يا «جودي».

– أشتاق إلى التجول فيها. هل ستغير ملابسك أولا أم أنك جاهز؟ يقول «فيداس» أن الغداء على وشك التحضير.

– أريد تغيير ملابسي أولا وأرغب في ارتداء شيء خفيف... لديّ شورت هل تظنين أن من الملائم ارتداءه؟ نظرت إليه مستغربة:

– والدي... لم تصر على أنك عجوز؟ بالتأكيد تستطيع ارتداء ما ترغب فيه، الجميع يرتدون ملابس بسيطة هنا، «فيداس» سيرتدي الشورت فيما بعد.

– سأرتديه بعد تناول الغداء إذن.

www.rewity.com

– نعم، ولكننا قد لا نتناول الغداء بل سننتظر الوجبة الثانية... على أية حال، تعالَ إلى حجرتنا بعد ذلك لنناقش الأمر. وقرروا التجول على سطح السفينة أولاً وتناول الغداء فيما بعد، وظنت «جودي» أن «فيداس» يعرف كل صغيرة وكبيرة في سفينته إلا أنه هز رأسه قائلا:

– لم أكن على سطح هذه السفينة من قبل، إنها جديدة اشتريتها منذ ستة أشهر فقط، ومنذ ذلك الوقت لم تسنح لي فرصة رؤيتها.

لم تقل «جودي» شيئا وافترضت أنه سمع خبر مرضه من طبيبه عند شراء السفينة فقد اهتمامه بالأمر نهائيًا نتيجة الصدمة. كانت الغرف والكابينات كلها مكيفة الهواء، وفي السفينة حوض للسباحة وناديان إضافة إلى دار للسينما وقاعة للرقص. كان هناك العديد من الصالات، وفي إحداها عزفت الأوركسترا خلال تناول الركاب الشاي جالسين تحت ظلال أشجار وارفة رتبت حول المكان. تناولوا الغداء في صالة كبيرة، واختاروا طاولة قرب النافذة. كانوا يتناولون العشاء فيما بعد مع قبطان السفينة، وابتسم لاستغراب زوجته.

– إنه لن يأكلك يا عزيزتي... سأحاول تفادي ذلك. وسأل «بيل» القبطان فيما بعد عندما كانوا جالسين يراقبون الراقصين في قاعة الرقص:

– أين سنرسو أولا؟ أجابه القبطان «جورج هالاتس»:

– «سيريفوس»... سنكون هناك غدًا، هل زرت أية جزيرة يونانية من قبل؟ هز «بيل» رأسه نفيًا. وقال:

– بل في الحقيقة إنها زيارتي الأولى خارج «إنجلترا».

تبادل «جورج» النظرات مع «فيداس» وتساءلت «جودي» عما إذا اعتبر القبطان زواج «فيداس» بفتاة والدها واضح الفقر... غريبًا. كما تساءلت في

قرارة نفسها عما إذا كان «جورج» أو أيٌّ من أصدقاء أو أقارب «فيداس» يعرف سر مرضه. نفت ذلك فهي تعرف أن «فيداس» رجل كتوم... من هم أصدقاؤه؟ حتى الآن لم تلتق بأحد سواه... ولم يضايقها الأمر إذ سرت لبقائهما وحدهما، ولكنها متأكدة أن لـ «فيداس» أصدقاء، بدا لها وحيدًا حين التقت به لأول مرة. إلا أنها عللت ذلك بسبب مرضه. ولابد من أنه قبل ذلك قضى وقت فراغه معهم... ثم فَضَّل أن يبقى وحيدًا بعد معرفته بمرضه... أو على الأقل هذا ما فكرت «جودي» في أنها ستفعله لو أصيبت بالمرض ذاته. قال «جورج» مؤكدًا:

– ستُعجب بـ «سيريفوس». وابتسم ابتسامته الساحرة لكل الفتيات على اختلاف أعمارهن. أخبرها «فيداس» فيما بعد بأن القبطان يجب أن يكون وسيمًا. هذا عامل مهم لجذب السياح، فهم غالبًا ما يأتون بحثًا عن الجمال والوسامة إضافة إلى الاستمتاع بإجازاتهم.

– إن «اليونان» يا عزيزتي، بلد سياحي ويقدر الحب والجمال، وإذا اجتمع الاثنان معًا تكون النتيجة الحصول على خدمة سياحية ناجحة.

وإذ استغربت «جودي» لما أخبرها به «فيداس» ضحك وقال:

– إن العالم مختلف عما تتصورينه، وعن قريتك الصغيرة... ولكنني أتمنى بقاءك بهذا الشكل، كما وجدتك في البداية. وكما يحدث دائمًا... تألمت «جودي» لكلماته... فهو رغم إدراكه لقصر حياته يصر على بقائها طيبة وصبية كما هي.

– ما معنى هذا التعبير النائي على وجهك؟ أعادها صوت «فيداس» إلى الواقع وابتسمت معترفة بابتعادها كيلومترات:

– أين؟ سألها بعد أن لاحظ انشغال القبطان و «بيل» بالحديث:

www.rewity.com

– أين كنت دون زوجك؟ يجب أن تخبريني.

– لم أكن دون زوجي... بل كنت أفكر في عشاق الجزر. وضحك «فيداس» بصوت عال جذب الانتباه إليه، فلم يقدر على إتمام محادثتهما الخاصة. وخاطبت «جودي» القبطان:

– أخبرني بجزيرة «سيريفوس» رجاءً. فطلب منها مناداته باسمه الأول «جورج»، ثم واصل:

– إنها جزيرة صخرية ذات جبلين صخريين ومنحدرات عميقة، إلا أنها تتميز أيضًا بسهولها الخصبة والسواحل الساحرة حيث في الإمكان السباحة والصيد.

ووصف «جورج» الجزيرة أكثر إلا أنه نهض فيما بعد واقفا وطلب من «جودي» مرافقته للرقص، ونظر الكل مترقبين، كما فعلوا كل مرة رقص فيها القبطان، ورغم أن «جودي» لم تقض الكثير من وقتها في السهرات إلا أنها كانت تجيد الرقص... علّمها والدها منذ كانت طفلة، وقد فازت في سن الرابعة عشرة بميدالية للرقص وكذلك في السنة التالية، ولاحظ «جورج» إجادتها الرقص وأثنى عليها فاحمرّ وجهها. تظاهر «فيداس» بالغيرة وعند عودتهما إلى مكانيهما نهض وطلب منها الرقص معه، وإذ احتواها بين ذراعيه همس في أذنها:

– هل غازلك «جورج» بكلماته الناعمة؟

– أخبرني بأنني أجيد الرقص وكنت رشيقة في حركاتي.

– هل قال ذلك؟ لن أسمح له بالرقص معكِ مرة أخرى. إلا أنه كان يمزح فقط، ورقصت «جودي» مع «جورج» عدة مرات تلك الليلة. «بيل» كذلك رقص معها فسُرّت بذلك لأنه هو الآخر كان يستمتع بوقته.

– أشعر بأنني استعدتُ شبابي.

– إنك شاب يا والدي، وأتمنى لو تتوقف عن التظاهر بالعجز، إنك في أوج شبابك حقًا.

– ربما ما تقولينه صحيح، إلا أن الظروف تغير الأشياء، وخاصة الظروف المعيشية التي حولتني إلى رجل عجوز. ترددت لحظة ثم سألت:

– هل هناك أمل في حدوث تغير؟

– كلا، إننا لا نناسب بعضنا إطلاقًا. ودفعتها طريقته في الكلام إلى التعبير عن رأيها بسهولة، وكانت ترددت من قبل في التعبير عنه:

– هل تفكر في الانفصال عنها؟

– نعم يا «جودي»، وكما قلت أنت ذات مرة: «لا نزال شابين، ولا تزال أمامنا سنوات طويلة نحياها. ومن العبث إضاعة حياتنا بهذه الطريقة في الشجار والخصام طوال الوقت». وألمحت برأيي لـ «أليس» عدة مرات أخيرًا.

وتوقف عن الحديث بضع دقائق فتأملت «جودي» بمرارة وضعهم الغريب... ها هي سعيدة بزواجها برجل سيتوفى بعد عدة أشهر... بينما يعيش والدها بتعاسة مع زوجته وأمامهما الحياة بكاملها ليتمتعا بها إذا أرادا الاتفاق. كان الوضع مخيفًا لهم جميعًا، ومع ذلك... لو لم يكن «فيداس» مريضًا لما جاء إلى «إنجلترا» للبحث عن فتاة أنقذت حياة ابن أخيه. لابد من أنه كان سيواصل حياة العزوبية إلى أن يلتقي ذات يوم بفتاة يرغب الزواج بها... واصل «بيل» كلامه إذ لاحظ صمت «جودي»:

– لم تقل «أليس» الكثير؛ لذلك أدركت أنها ترحب بالانفصال، المشكلة

الوحيدة هي المنزل، لن تغادره بإرادتها ولن أغادر أنا المكان لتتمتع به.

– كيف ستحل المشكلة إذن؟

والغريب أنها لم تفكر في أنها ستكون قادرة في المستقبل على توفير السكن لزوجة أبيها. كما أن والدها لم يشر إلى المسألة أيضًا. سيبيع المنزل لو تطلب الأمر، ورغم أن «أليس» تستطيع البقاء في المنزل حينئذ، إلا أنه يجب عليها دفع الإيجار للمالك الجديد. بينما سيحاول هو استخدام المال في مجال آخر.

– لكنك تحب المنزل... ولن تحصل على بيت جميل مثله بالسعر نفسه، كما ستفتقد هدوء المكان الرائع...

– لم يعد البيت هادئًا... كلا يا «جودي» لن أبقى في البيت. عضت «جودي» شفتها وقطبت جبينها، إلا أن الموسيقى توقفت فعادا إلى مكانيهما ولم يناقشا الموضوع، ولم تحن لهما فرصة الحديث بشكل خصوصي فيما بعد. وبدا والدها سعيدًا بقية الرحلة خاصة بعد أن قدمه القبطان إلى السيدة «بروكز» المسافرة وحدها والتي كان زوجها صديقا للقبطان، ورحبت السيدة بالانضمام إلى مجموعتهم وبقيت معهم حتى نهاية الجولة السياحية.

– 7 –

بعد أن غادروا «سيريفوس» ذات الميناء الجميل ببيوتها القديمة وحدائقها الواسعة، توجهوا إلى «ناكسوس» وذهلوا جميعًا لمرأى الميناء الأبيض وزرقة البحر والسماء. كانت البيوت كلها بيضاء مبنية على جوانب

التلال. قال «بيل»:

– يا له من مشهد مذهل! وكانوا واقفين على سطح السفينة. تمتم «فيداس» ناظرا بغرابة إلى والد «جودي» الواقف قرب السيدة «بروكز».

– جزيرة «إريان»... هنا، كما تقول الأسطورة، هجر «ثيسوس» «إريان» بعد أن قضى الليلة معها.

– أوه... واستدارت «جودي» وإذ فعلت ذلك مست كتف زوجها بخدّها. فاحمرّ وجهها للمفاجأة ثم استجمعت رباطة جأشها لتواصل ما أرادت قوله:

– هل هجرها بعد أن أنقذت حياته باقتياده خارج المتاهة؟ أجابها «فيداس» مداعبًا:

– إنك لا تعرفين الأساطير اليونانية بالتأكيد. اعترضت وهزت رأسها:

– يجب أن أقرأ عنها... إلا أنك تستطيع التوضيح لي أحيانا، وسيكون الأمر أسهل بكثير.

– كلا، يا لك من طفلة كسولة! حسنًا إذن... «ثيسوس» ترك الجميلة «إريان» وأبحر دون أن يعبأ بدموعها ولا بتمزيقها حجابها غضبًا.

– يا له من رجل قاسٍ!

– يجب ألا تأسفي لـ «إريان» فقد وجدت عزاءها بعد ذلك في لقاء «ديونيسوس» الوسيم فتزوجها ومنحها تاج النجوم، وهكذا انتهت القصة نهاية سعيدة، ونظر مرة أخرى إلى «بيل» و «جيليان»، اسم السيدة «بروكز» الأول، ولم يكونا يصغيان إلى الأسطورة. وبينما كانوا يتجولون في المدينة الساحلية بعد ذلك، لاحظت «جودي» تعلق والدها بـ «جيليان» فقالت لـ «فيداس»:

– آمل ألا يعقّد والدي حياته أكثر بدء علاقة جديدة مع السيدة «بروكز».

– إنهما يودّان بعضهما بالتأكيد، أكره أن أرى والدك تعيسًا بسبب لقائه امرأة سيودّعها بعد انتهاء الرحلة البحرية.

– إنها لطيفة، ألا تظن ذلك؟

وقارنتها «جودي» بـ «أليس». كانت «جيليان» قصيرة نحيفة ذات شعر رمادي اللون. وجهها مدور وصغير، ملامحه دقيقة وذات فم ناعم متناسق مع بقية ملامحها. كانت في الحادية والأربعين من عمرها وأرملة منذ ثلاث سنوات. كانت تسكن في «نورثهامبتون»... وهو مكان يستطيع «بيل» زيارتها فيه إذا أراد. إلا أن «جودي»علمت بأنه لن يفعل ذلك طالما يواصل العيش مع «أليس» مهما كانت علاقتهما سيئة.

– إنها سيدة جذابة... هل أخبرها والدك بأنه متزوج؟

– لا أظن ذلك. ثم ترددت قليلاً:

– «فيداس»، قال لي والدي إنه يفكر في ترك زوجته.

– هل يفكر في الطلاق؟

– لا أعرف ما الذي يفكر فيه تمامًا، لقد تحدث عن الانفصال، إلا أنه ليس حلاً مرضيًا... أليس كذلك؟ قطب «فيداس» جبينه مهموما وقال:

– نحن في «اليونان» لا نحبذ الطلاق يا «جودي»، لا يزال الزواج لدينا مقدسا وحين نتزوج نعلم جيدًا أنه عقد يدوم طوال الحياة.

أجابها بحدة لم تتوقعها فاقشعر جسمها لصرامته، وخطر في بالها فجأة أنها لا تعرف تمامًا نوع مرضه ولا إذا كان سيعاني الألم عند مشارفته النهاية... إلا أنها لم تجرؤ على نطق أفكارها بصوت عالٍ بل اكتفت

بالقول:

– نعم أعرف تقاليد «اليونان» بصدد الزواج، لكن إذا كان الزوجان يعيشان في تعاسة، هل تفضل بقاءهما معا؟ فكر «فيداس» فترة طويلة قبل الإجابة:

– إنه سؤال صعب جدًا يا عزيزتي، لا سيما وأنني سعيد معك. ووضع ذراعه حولها وجذبها إلى صدره. كانت صغيرة بالمقارنة مع حجمه فوضعت يدها لتلامس خصره وأحست بالدف».

تنهدت سعيدة بتلك اللحظة. كانت محظوظة؛ لأنها عرفت معنى السعادة الكاملة مع رجل تحبه، الأمر الذي يقضي الكثير من الناس حياتهم وهم يبحثون عنه. وافقوا جميعًا على استئجار سيارة لاستكشاف الجزيرة قبل أن يحين موعد مغادرة السفينة إلى جزيرة أخرى، وهكذا وقف «فيداس» و «جودي» ينتظران «بيل» و «جيليان» ليلحقا بهما. سأل «فيداس» إذ ظن أن الاثنين يرغبان في البقاء وحدهما:

– هل نستأجر السيارة؟

إلا أن «بيل» و «جيليان» رغبا في البقاء معهما لاستكشاف الجزيرة، وهكذا اقتادهم السائق عبر شوارع الجزيرة الضيقة حيث غطت الزهور شرفات المنازل وساحاتها، ثم إلى الريف الأخضر والتلال المكسوة بأشجار الزيتون والعنب، وتوقفت بهم السيارة في «أبولونا» وقادهم السائق عبر ممر ضيق إلى غابة كثيفة الأشجار أدت إلى مقلاع حجارة مهجور.

أشار سائق السيارة إلى كومة كبيرة من الحجارة. لابد من وجود مقلاع مرمر قريب من المكان، فقد وجدوا تمثالاً كبيرًا من المرمر لم يتمّ نحته كان مغطى بالأشن وبدا عليه القدم والتآكل. أسفت «جودي» لا لحجم التمثال

www.rewity.com

وحالته المزرية، مهملاً من قبل المعماريين والمتاحف، بل لوحشته. حملقت دون أن تتحرك وبدت وكأنها تحس بغموض المكان... الزمن؟... ما هو الزمن؟... من الذي نحت ذلك التمثال؟... وما الذي يمثله هذا الشكل الضخم؟ تنهدت «جودي» أخيرًا واستدارت نحو زوجها وقالت:

– إنه مثير للحزن... متى وضع التمثال هناك؟ كان «فيداس» يتفحص نمو الأشن والفطريات حوله...

– يشير وضع التمثال بذراعيه وتصلب الجسد إلى التأثر بالفن المصري، لابد من أنه نحت قبل حوالي ستمائة عام. استنتج «بيل» مستغربًا:

– نحت التمثال هنا لأن التجارة بين اليونانيين والمصريين كانت مزدهرة في حينه، لذلك تأثر فن النحت اليوناني بالمصري. وسألت «جودي» سؤالاً بدا لها فيما بعد سخيفًا:

– هل تعرف هوية الشخص؟ إلا أن «فيداس» أجابها موضحًا:

– غالبية التماثيل أصنام نحتت على مثال «أبولّو»، كما مثّل بعضها رياضيي تلك الأزمنة. وتعطينا أبعاد التمثال دلالة على عصر نحته وحجمه كذلك، إذ اتخذت حجوم التماثيل في الفترات المتأخرة أبعاد الجسم الإنساني وحجمه.

– وتطور الحركة.

– ذلك صحيح، إنه موضوع مثير... متابعة تطور الفن الإغريقي... جاء الأيونيون فعلّموا الأثينيين استخدام المرمر بدلاً من حجر الكلس. كذلك علّموهم نحت التماثيل بأجزاء يتمّ تجميعها فيما بعد. فعلق «بيل» قائلاً:

– حين نرى، إذن، تماثيل مركبة من أجزاء مختلفة، نعلم أنها تعود

لتاريخ أقدم من عصر نحت هذا التمثال مثلاً.

أومأ «فيداس» موافقًا ثم انتبه إلى حضور السائق الواقف بعيدًا عنهم وقد بدا عليه الضجر، ماسكا بيده مسبحته ومحركًا خرزها الواحدة بعد الأخرى مما أحدث صوتًا أزعج «جودي» فتعجبت كيف تتحمل زوجته سلوكه. ابتسمت لما راودها من أفكار. إذ لم يذكر الرجل شيئًا عن كونه متزوجا وربما كان أعزب، ولكنها وهي تسمع حبات الخرز ترتطم ببعضها سُرّت لأن زوجها لا يفعل الشيء ذاته.

استكشفوا مناطق أخرى من الجزيرة ثم ذهب «بيل» و «جيليان» لشراء بعض التحف والسلع التذكارية. بينما بقي «فيداس» مع «جودي» وعبرا المجرى المائي نحو بوابة من بقايا معبد مرمري قديم، ثم إلى جزيرة صغيرة لا تتعدّى مساحتها تلاً صغيرًا يقع في البحر. جلس الاثنان على قطعة كلس كبيرة، لعلها جزء سقط من حائط المعبد. كان المكان كله ملكًا لهما وأحاط بهما الهدوء، وكانت الشمس مشرقة والسماء زرقاء صافية.

– يا له من سلام كامل!

وجدت «جودي» نفسها تهمس هذه الكلمات فضحك زوجها. كم بدا قويًا ومعافى، وتفحصت جسمه الرياضي الفتي وتذكرت خطواته الفخورة حين يسير وتعبير الصرامة في عينيه الرماديتين. لاحظ نظراتها فأمسك بيدها وأدار وجهها نحوه ليُقبّل خدها، ثم ابتسم لها ابتسامته المعهودة وقال:

– تعالي يا حبيبتي... يجب ألا نتأخر عن موعد إقلاع السفينة. كان النسيم عليلاً حين غادرت السفينة الميناء، ولوّح بعض الصيادين في قواربهم الصغيرة لركاب السفينة ضاحكين وبدت على وجوههم السعادة.

www.rewity.com

وابتعدت السفينة فبدت البيوت أصغر فأصغر حتى اختفت عن أنظار الركاب.

انتهت رحلتهم السياحية بسرعة وكذلك عطلة «بيل»، واعترف «بيل» لـ«جودي» قبل مغادرته إلى المطار، في اليوم الأخير، أنه أحب «جيليان» واتفق معها على الاتصال به عند عودته إلى «إنجلترا». خاطبت «جودي» والدها الجالس بجوار زوجها في السيارة وهم في طريقهم إلى المطار:

– سيسبب ذلك تعقيدًا أكبر لك. فأومأ «فيداس» موافقًا.

– أفترض هذا، إلا أن الحياة مليئة بالتعقيدات لسبب أو لآخر، وعلى الأقل هناك الآن شيء مفرح في حياتي. وأراد حسم الموضوع إذ لم يرغب في مناقشته في حضور «فيداس». إلا أن «فيداس» سأله بتردد:

– هل أخبرت «جيليان» بأنك متزوج؟

– نعم، إذ لم أجد فائدة من إخفاء ذلك، فهي ستتوصل إلى معرفة الحقيقة عاجلاً أم آجلاً.

– أوافقك، هذا إذا قررت مواصلة لقائها فيما بعد. أجابه بصوت هادئ ثابت:

– نعم أريد مواصلة رؤيتها فيما بعد. فكرت «جودي» في «أليس» وخسارتها لفرصة أخيرة في زواج سعيد. بدا من المؤكد أنها ستعود إلى وحدتها قريبًا. وحيدة بسبب غبائها، فهي حتى الآن لم تستطع الاقتناع بأن زوجة والدها امرأة شريرة. كانت مزاجية إلى حد يصعب العيش معها فترة طويلة.

كان الوداع حزينًا بعض الشيء. إلا أنهما تواعدا على الكتابة بانتظام، واستطاعت «جودي» في وقت مبكر مساعدته على حزم متاعه والتحدث إليه فترة طويلة. تحدثا عن مشكلتها وأبدى دهشته لقدرتها على التظاهر

بالسعادة، وذكرته بأنه لم يكن أمامها خيار آخر لمعرفتها بقرب نهاية زوجها. واستمرت قائلة:

– على أي حال، هذه الشهور غالية إلى حدٍّ تمنعني فيه من التطلع إلى المستقبل. ومع ذلك تحشرج صوتها وأوشكت على البكاء، إلا أنها تماسكت وعادت إلى استسلامها الغريب للحاضر ونسيان المستقبل، وتلاشت مخاوفها، فخطتها حاضرة في حال إرسال «حنة»لرسالة. أما إذا لم تقع الرسالة بين يديها، فستفقد كل شيء. إلا أنها كانت مستعدة لتحارب من أجل سعادة «فيداس» إلى حد أنها رفضت حتى احتمال الفشل. ستكون حذرة ومتيقظة لئلا تدعه يتسلّم أية رسالة قد تبعث بها «حنة» في المستقبل. ربما لن تعاود الكتابة بعد أن تستلم جواب الرسالة الأولى...

– مهما كان ما ستفعله يا والدي، يجب ألا تعطي «حنة» عنواني في شمال «إنجلترا»، مهما كان إصرارها، أخبرها بأنني لا أرغب في إقامة أية علاقات معها أو مع أمها، لحسن الحظ لم تسأل «أليس» عن عنواني قط، وبما أن العلاقة بينكما سيئة حاليًا فأستبعد سؤالها، إلا أن «حنة» ستفعل ذلك. لم يخطر على بال «جودي» أن «أليس» ستسأل عن عنوانها، إلا أنها مع ذلك حذرت والدها توقعًا لكل الاحتمالات. قال «بيل» بعد تردد:

– لا أظن أن «حنة» سترغب في الاتصال بك. على أية حال، اعتمدي عليّ في عدم إعطائها عنوانك. ثم نظر إلى «جودي» وقال:

– إنها لن تشك أبدًا فيما تفكرين فيه، لا «حنة» ولا أمها ستصدقان للحظة واحدة أنك جريئة بحيث تفعلين ما فعلتِ.

www.rewity.com

وابتسمت جودي» لملاحظته. لم يتطلب الأمر منها جرأة كبيرة؛ إذ كان الزواج بـ «فيداس» عملية سهلة، كما لو أنها أدّت دورًا أُعدّ لها مسبقًا فأثار دهشتها لبساطته.

– ها نحن في البيت أخيرًا يا «جودي»... كنت تحلمين طوال الطريق من المطار. استدارت نحوه وقالت:

– كان يجب عليك الحديث إليّ.

– الأمر الغريب هو أنني لم أرغب في الحديث، أحزنني أن أرى والدك وحيدًا وضائعًا بعد توديعنا. أضافت بامتنان:

– نعم، هذا ما فكرت فيه أيضًا، إلا أنه تمتع بعطلته، ويعود الفضل لك في جعلها عطلة لا تُنسى، كان قلقًا بصدد دفع كلفة الرحلة إلا أنني طمأنته بأنه يجب ألا يفعل ذلك؛ لأنها سفينتك، على أية حال، لم يكن لديه المال ليدفعه.

– أردت دفع ثمن تذكرة الطائرة، إلا أنني خشيت جرح مشاعره وكبريائه... لكن ربما إذا أعطيتك إياه تستطيعين أنت إيصاله إليه؟

– لديَّ ما يكفيني يا عزيزي، وأخبرت والدي بأنني سأدفع الثمن فلا تقلق.

– يا لك من فتاة طيبة!... أشعر بالهدوء يعاودني الآن.

بعد رحيل والدها، بدأت «جودي» النزول إلى الطابق الأول قبل «فيداس» بعدة دقائق. رغم أنهما اعتادا النزول من قبل معًا. إلا أنها بدأت الخطوة الجديدة لتتفحص البريد القادم قبل استلامه من قِبَل «فيداس». ورغم أنه لم يُبد استغرابه لتغيير عادتها إلا أنها تألمت، فقد كان النزول معًا جزءًا من شعورهما بالسعادة، ولأنهما لم يفترقا قط إلا عندما يضطر إلى العمل

أحيانا. حين وصلت رسالة «حنة» أخيرًا بقيت «جودي» محدقة إليها، مذهولة وعاجزة عن التقاطها... فهي رغم ثقتها بوصول الرسالة يومًا، بقيت تأمل في عدم حدوث ذلك. أمسكت بها ببطء وحذر ونظرت إلى خط يد «حنة» كأنه في حدّ ذاته تهديد بالخطر.

ورغم ذلك كانت «جودي» هادئة حين سلمت «فيداس» بريده بعد لحظات قصيرة، عند قدومه إلى الطابق الأرضي.

وكانت هادئة تمامًا حين ذهبت إلى مكتبه بعد توجهه للاستحمام، وجلست لتطبع على الآلة الكاتبة رسالة إلى «حنة» موقعة من قِبَل «فيداس». لن تجرؤ أية فتاة بعد قراءة ما كتبته على الكتابة لـ «فيداس» ثانية. طبعت العنوان على المظروف ودسّت الرسالة فيه. لم يكن إرسال الرسالة صعبًا، فقد اعتادت «جودي» بعث رسائل والدها بطريقة سريعة دون أن يلحظ زوجها خط يدها، وحين قاد السيارة ذلك اليوم للتوجه إلى العمل طلبت منه التوقف قرب صندوق البريد لترسل رسالتها إلى «حنة»، فظن «فيداس» أنها رسالة إلى والدها.

ورغم اقتناعها بأن «حنة» لن تكتب مرة أخرى إلا أنها واصلت حذرها وترقبها ثلاثة أسابيع أخرى، وفي نهاية المدة أحست «جودي» بالأمان. لقد نجحت خطتها. كان «فيداس» سالمًا من الأذى وكذلك هي. كيف أحست «حنة»؟ تساءلت أولا ثم تخلصت من صورة «حنة» وطردتها من أفكارها. لم تحس بأي ندم أو ذنب لأخذها الرسالة والإجابة عنها برسالة تحمل توقيع «فيداس». إنه زوجها وقد أقسمت أن تحميه من الألم، وجاء انتصارها تحقيقًا لما رغبت فيه بقوة.

مر عليهما أسبوعان آخران بهدوء. قضيا أيامهما يَسْبحان ويتمشيان في

الحدائق ثم يتناولان وجبات طعامهما في مطاعم مختلفة. كانت «جودي» تنظر أحيانا إلى زوجها لتتفحص وجهه مذعورة، مخافة أن تلحظ تغيرًا يدل على مرضه، وغالبًا ما رددت لنفسها... إذا ما بدأ المعاناة.. فلن أتحمل رؤيته متألمًا أبدًا.

هل سيخبرها قبل النهاية؟ سألت نفسها مرات ومرات وتأكد لديها حينئذ أنه لن يخبرها. أما الآن فلن تستطيع أن تتصور كيف يستطيع البقاء صامتا... إذا ما بدا عليه المرض واضطر إلى اللجوء إلى السرير. قال ذات يوم، حين لم تستطع التخلص من أفكارها السوداء، وغطى وجهها الشحوب:

- ماذا حدث؟ إنك تبدين مريضة. شجعها اهتمامه على تجميع بقايا عزيمتها والتظاهر بالسعادة:

- لا شيء، لا شيء يا عزيزي.

- كنت مستغرقة في تفكير عميق... هل هو والدك؟ أومأت موافقة للعذر، إلا أنها لم تكن تكذب. واستطاعت الحفاظ على مظهرها السعيد ونسي زوجها متابعة الموضوع ففرحت لذلك. أخبرها «فيداس» في اليوم التالي بأن عليه العمل مدة ثلاث ساعات، وحين عرضت عليه المساعدة أخبرها بأنه يرغب في البقاء وحده.

- آسف يا عزيزتي، إلا أنك تقدّرين وضعي، لا يوجد شيء تساعدينني عليه وسأركز بشكل أفضل دون وجود زوجتي الحبيبة.

- أفهم يا عزيزي، غير أن ثلاث ساعات وقت طويل.

- سأنجز العمل اليوم وغدًا سنقضي بقية الأسبوع وحدنا. جلست في الحديقة محاولة القراءة إلا أنها فشلت فرمت الكتاب جانبًا، وفي اللحظة

ذاتها ظهرت «ليدا» وهي تتصرف بشكل غريب وتوجهت نحو «جودي» وقالت لها:

- يا سيدة «فيداس»، هناك سيدة قدمت بواسطة سيارة الأجرة تطلب رؤية السيد «فيداس»، لكن الغريب أنها أعطتني اسمها وهو «جودي لانكهام»، وأنا أعرف أنه اسمك قبل الزواج... لأنني رأيته في رسائلك عدة مرات... كما أشعر بأن هذه السيدة سيئة... نعم، أرى ذلك في عينيها... لكن ماذا جرى يا سيدة «فيداس»؟ هل أنتِ مريضة؟ لم تعلم «جودي» كيف استطاعت الوقوف على قدميها. عرفت أنها كانت شاحبة وأن قلبها يدق بشكل لم تعهده من قبل وقالت:

- أين تلك السيدة؟

- لم أدعها تدخل غرفة الجلوس بل قدتها إلى الصالة، بعيدًا عن مكتب السيد «فيداس»، وقلت لنفسي يجب أن أخبرك أولاً... لأنني أحسست بأن مقدم السيدة ينذر بالشر، لذلك قلت لنفسي إنه يجب إخبارك أولاً.

- شكرًا «ليدا»... أمامها عدة دقائق لتستجمع شجاعتها لكن ما الفائدة؟ سارت «جودي» إلى البيت ووقفت لحظات أمام باب الصالون. كيف سترحب بالفتاة التي تريد أن تسرق منها زوجها؟ فتحت الباب أخيرًا متوقعة سماع صيحة الدهشة والاستغراب تطلقها «حنة»... إلا أن ذلك لم يحدث، بل اكتفت «حنة» بالتقطيب والنظر إلى «جودي» بحدة وخبث مما يدل على اطلاعها على الحقيقة:

- «حنة»... أنا...

- أين «فيداس»؟

رطبت «جودي» شفتيها وهي تتعجب لماذا لم يحذّرها والدها. إذ يكفيه ذكر عدة كلمات في إحدى رسائله لتفهم، كان يقول مثلاً سمعت أن الآنسة فلانة قادمة إلى «اليونان». وهكذا ينذرها دون أن يفهم «فيداس» مغزى الإشارة. لكن ربما لم يعلم بنيات «حنة».

– لا يبدو عليك الاستغراب لرؤيتي هنا؟ بدأت «جودي» الكلام محاولة بذلك كسب الوقت لتستجمع قواها وتصحو من تأثير الصدمة. أجابت «حنة» بحقد وضراوة:

– أستغرب؟ كلا، لست مستغربة، لكنني لا أريد رؤيتك، بل لقاء «فيداس»... أين زوجك؟ وبدا وكأنها بصقت الكلمة الأخيرة فتراجعت «جودي» خطوة إلى الوراء بشكل لا إرادي.

– إنه مشغول الآن ولا يمكن إزعاجه... ثم انهارت «جودي». وقالت:

– «حنة» يجب أن أحدثك عنه... إذ كما ترين، إننا نحب بعضنا...

– حب؟ وأطلقت «حنة» ضحكة صاخبة، فنظرت «جودي» إلى باب الغرفة مذعورة...

– حب؟ أحب تعبيرك هذا.وظهرت علامات الحقد الأسود واضحة على وجه «حنة».

– هل اعتقدت أنك تستطيعين النفاذ بجلدك بعد احتيالك؟ كنت تعلمين أنني أريد الزواج بـ «فيداس» بعد عودتي، إلا أنك خططت لتسلبي كل ما لديه مادمت أنا غائبة، ثم تهربين بعد عودتي إلى «إنجلترا»... أليس كذلك؟ ابتلعت «جودي» ريقها وسألت:

– كيف اكتشفت زواجي بـ «فيداس»؟

– عليّ شكر والدك لكشفه الأمر...

– والدي؟

– نعم، إنه ليس ذكيًا، كما هي الحال معك. وأطلقت ضحكة خشنة أخرى.

– نعم يا «جودي» كشف والدك كل شيء. طلبت منه أن يصرف لي جنيها فأعطاني العملة ومعها عملة يونانية. وخطت إلى الأمام مقتربة من «جودي» فحاولت الأخيرة التحرك للابتعاد عنها، إلا أنها فشلت إذ خذلتها ساقاها.

– بالطبع قال والدك إن العملة أعطيت له عن طريق الخطأ... إلا أنني لم أصدق ذلك خاصة بعد أن قضى إجازته ومدتها عشرة أيام دون إرسال حتى بطاقة بريدية لوالدتي يخبرها فيها بوصوله وتمتعه بزيارة ابنته في شمال «إنجلترا».

قالت «حنة» ذلك بلهجة شرسة ونظرات حاقدة، وتقدمت خطوة أخرى نحو «جودي» الجامدة في مكانها. ووجدت «جودي» في نفسها الجرأة لتحمد الله لأن «فيداس» لم يتزوج امرأة كهذه.

– كما لاحظتُ اسمرار بشرة والدك، وهذا أمر لن يحدث في مناخنا البارد،خاصة خلال فترة قصيرة، إضافة إلى أن والدتي كانت تتشكى من بعثرة والدك لأدراجها بحثا عن شيء ما في أثناء غيابها عن المنزل. وقالت إن الدرج الذي يحوي رسائلي تغير مكانه. كل ذلك بالإضافة إلى الرسالة الغريبة التي تسلّمتها من «فيداس»، لحسن الحظ حافظت عليها وجلبتها معي، رسالة مطبوعة! هل يطبع «فيداس» رسالته للفتاة التي عبّر لها عن امتنانه دائمًا؟ وبعد أن فكرت جيدًا أيقنت أن طبع الرسالة مخالف لطبيعة «فيداس» بعد أن كانت رسائله الأولى مكتوبة بخط يده...

www.rewity.com

ثم هناك تغير في الأسلوب. توقفت عن الكلام وهي عابسة ثم قالت:

– نعم، قد ترتجفين الآن لكن ارتجافك لن يقارن بما سيحدث لك بعد أن أخبر «فيداس» باحتيالك عليه أنتِ ووالدك... بالمناسبة ما هي حصة والدك؟ عمولة أم نسبة مئوية؟ انكمشت «جودي» ذعرا إلا أنها ظلت صامتة فواصلت «حنة»:

– أما بصدد الرسالة وكلماتها... فإنك تتذكرينها... أليس كذلك؟ لأنك كتبتها بنفسك، وواصلت «جودي» صمتها إلا أنها تذكرت في لحظة خاطفة محتوى الرسالة. أرادت أن تكون مؤدبة في الرسالة إلا أن «حنة» اكتشفت خطأها.

– أريد أن أحدثك عن «فيداس». نطقت «جودي» أخيرًا إلا أن «حنة» قاطعتها فورًا وبدأت الحديث عن فحوى الرسالة.

– تزوج «فيداس» ويجب قطع مراسلاتي إليه لاستحالتها ولعدم ضرورتها. متزوج؟ يا للغرابة! متزوج بهذه السرعة؟ بمن؟ وبدأت التساؤل لا سيما بعد أن رفض والدك إعطائي عنوانك في شمال «إنجلترا». ثم تكرار الشكر في الرسالة لما فعلته لكن دون إسهاب من رجل اعتاد الإسهاب في امتنانه، وفي لحظة خاطفة اكتشفت ما حدث... لا بد من أن «فيداس» جاء إلى «إنجلترا» في أثناء غيابي وتم زواجك به ثم سافر والدك لتحذيرك إذ لم يجرؤ على تحذيرك في رسالة قد يقرؤها «فيداس»، ثم جعلت همّي الأول اكتشاف مكان زواجك... علمت أنك لن تتزوجي في «بريدبورت»؛ لذلك استعلمت أنه لابد من أنك زوّرتِ التوقيع على الرسالة كما زورتِ التوقيع عند الزواج.

هزت «جودي» رأسها دائخة ولم تنف التهمة، إذ لا يقارن تزوير التوقيع

بباقي المصيبة الكبرى. توصلت «حنة» إلى الحقيقة بدقة بالغة، وكل ذلك لارتكاب «بيل» خطأ بسيطًا. إن «حنة» ذكية جدًا وأكثر ذكاء من «جودي» ووالدها معًا.

– أين هو؟ تقولين إنه يعمل ولا تستطيعين مقاطعته... لكن إذا لم تستدعيه بنفسك سأسير إلى الداخل لأطرق الأبواب منادية وسوف يسمعني حينئذ بلا شك. نجحت أخيرًا في الابتعاد عن «حنة». ثم وقفت في طريقها لتمنعها من الخروج وخاطبتها بصوت خافت:

– لا تتسرعي يا «حنة»، انتظري إلى أن أوضح لك كل شيء، هل تعلمين لمَ أراد «فيداس» الزواج بكِ؟ هل تذكرين أننا كنا نحس بوجود شيء خفي؟

– نعم. وبدا على «حنة» الانتباه:

– لماذا أراد الزواج بي؟

– لأنه على وشك الموت ولم يبقَ أمامه غير ستة أشهر، وأراد أن يترك لك ثروته.

– ستة أشهر؟ وكيف اكتشفتِ ذلك؟ هل أخبركِ بنفسه؟ وبدت مصدومة بالخبر. لابد من أنها تحاول أن تتصور مشهد لـ «فيداس» مريضًا، متخيلة مظهره الخارجي.

– كلا لم يقل «فيداس» شيئًا... وحدثتها «جودي» بكل التفاصيل، تفاصيل حبها لـ «فيداس» والأسابيع القليلة المتبقية له.

– حين قدم والدي حاملاً نبأ عودتك إلى «إنجلترا» ورغبتك في الزواج بـ«فيداس» أقسمت أن أحمي زوجي من الألم، وحين فكرت في الكتابة إليك نفذت الفكرة دون تردد. لم تقل «حنة» شيئًا لأنها كانت تفكر

www.rewity.com

في الثروة التي خسرتها. ثروة كان في إمكانها الحصول عليها بعد وفاة «فيداس».

– أعرف أن الثروة لكِ لأنك الفتاة التي أراد «فيداس» الزواج بها... لذلك ستكون الثروة كلها لكِ. وصمتت عندما لاحظت عدم تأثر «حنة» بكلماتها ووعدها، وبدت هذه على وشك الإصابة بالهستريا لشدة غضبها وغيظها:

– ستة شهور! ستة شهور بقيت له؟ لو علمت ذلك قبل سفري! ستة شهور ثم أحصل على ثروته، لمَ لم يخبرني «جون» بذلك؟ لماذا؟ لماذا؟ وأخذت تخاطب نفسها فراقبتها «جودي» مذعورة تنتظر انحسار العاصفة.

– لمَ أخبرك «جون» بدلاً مني؟ آه أتمنى لو أستطيع قتله! أن يطلعك على خبر كهذا! إنني أكرهه وأكرهك.

– «حنة»... لا تهتمي من ناحية المال فأنا لا أريده، ألم أقل لك إنه سيكون لكِ؟

– أنت لا تريدين المال؟ تحاولين القول بأنك ستدعينني أحوز عليه؟

– نعم، وأعدك بذلك... ضاقت عينا «حنة» وعبّر فمها عن ازدرائها:

– هل تتوقعين مني تصديقك؟ تصديق حبك له إلى حد التخلي عن ثروته مقابل صمتي؟ هل تعتبرينني حمقاء؟ كان وجهها محمرًا وواصلت التلويح بقبضتها في غضب.

– أضعت الثروة... وكل ذلك لتأخري قليلا... ستة شهور... كل ما كان عليّ فعله هو الزواج به مدة ستة شهور. وشحبت «جودي» إلى حد تحول فيه لونها إلى البياض لشدة غضبها. ثم قالت بحدّة:

– «حنة».. كيف تجرئين على الحديث هكذا عن زوجي؟ أليس لديك أي إحساس أو مشاعر؟ إنه شاب قوي ولا يبدو عليه المرض، يعلم أنه مشرف على الموت، ومع ذلك تتحدثين عن المال، تستطيعين الاستحواذ على الثروة، وهأنا أحاول إقناعك من جديد بصدق نيتي، إنني أحب زوجي وحين يتركني وحيدة لن يكون هناك ما يستطيع التعويض عن حبه، ولن أستفيد من المال على أية حال... إنه ملك لك، لكن ما أطلبه منك هو المغادرة وتركنا وحدنا. وإذ انتبهت إلى ارتفاع صوتها نظرت بحذر إلى باب الغرفة مرة أخرى.

– اتركينا رجاءً، أتوسل إليكِ، غادري هذا المكان. ومرت لحظات صمت قبل أن تقول «حنة»:

– لو أستطيع تصديقك لغادرت المكان، إلا أنني لا أصدق حرفًا مما تقولين، ليس هناك أحمق يرغب في التخلص من كل هذه الثروة، إنك تزوجته من أجل ماله... نعم... نعم، لذلك لست أحتاج إلى إنكار الأمر، وقد ساعدك والدك على إتمام الحيلة. صمتت ثم اقترحت:

– اطلبي من «فيداس» الحضور إلى هنا، إنني أفضّل الحصول على وعده بدلاً منك، وقد يغير وصيته لصالحي، إنني أنا من كان يرغب في الزواج بها، وإذا اطلع على احتيالك لابد من أنه سيلغي حصتك في الوصية. كادت «جودي» أن تتقيأ اشمئزازًا لطريقة «حنة» في الحديث، ولافتقادها أي إحساس بآلام الآخرين، وتوسلت إليها:

– «حنة»، ثقي بي أرجوكِ، أخبرتك بالحقيقة حين قلت إننا نحب بعضنا، إن «فيداس» سعيد جدًّا منذ زواجنا، ولم يعد أمامه وقت طويل... وأخذت تبكي فغطت وجهها بيديها. وأضافت:

www.rewity.com

– لن تستفيدي شيئا من كشف ما جرى، خاصة بعد أن وعدتك بإعطائك كل شيء.

– إنني لا أثق بكِ، ولن أتخلى عن الثروة، كما لا أستطيع أن أصدق أنك ستفعلين ذلك، سأرى «فيداس» وأطلعه على الحقيقة. وسارت نحو الباب إلا أن «جودي» أمسكت بذراعها وقالت:

– كلا، لن أدعك تؤذين زوجي. دفعتها «حنة»، سأكتب ما تريدين، سأعترف بكل شيء، سأفعل كل شيء تريدينه، غادري المكان فقط. كان وجهها مبللاً بالدموع وجسمها يرتجف وأضافت:

– ما الذي أستطيع قوله لأجعلك تفهمين؟ ومدت ذراعيها إلا أن «حنة» لم يبدُ عليها أنها تتأثر بشيء.

– لن تؤثر فيّ حيلك يا «جودي»، كل ما تريدينه هو أن أبتعد وأبقى صامتة حتى يموت «فيداس» ثم تحصلين على الثروة.

توقفت عن الحديث فجأة إذ لاحظت مجيء «فيداس» وهو يرتدي قميصًا أبيض وسروالاً أزرق اللون ويبدو متمتعًا بأفضل صحة. تأتأت وهي غير قادرة على تصديق ما رأته عيناها:

– هل أنت «فيداس»؟ وبدا من الواضح أنها لم تتوقع رؤية رجل وسيم بهذا الشكل. قالت «جودي» شاحبة شحوب الموتى:

– «فيداس»... إلا أنها كانت هادئة بشكل غريب. وأردفت:

– هذه ابنة زوجة والدي، الفتاة التي أنقذت حياة ابن أخيك من الغرق، الفتاة التي أردت الزواج بها. دون أن تنتظر لترى تأثير كلماتها في زوجها، غادرت الصالة متوجهة إلى غرفة النوم.

* * * * *

– 8 –

سكن نسيم الغروب وانسدلت ظلال المساء البنفسجية مثل ستارة مخملية على الحديقة، وكانت الفيلا مضيئة وسط ظلال الأشجار.

كان «فيداس» يتمشى مع «جودي» كعادتهما قبل تناول العشاء، وقبل أن يصلا إلى الحديقة تنهد بشكل واضح، فقالت «جودي» بصوت مرتعش بدا مختلفًا عن صوتها:

– أحبك وأتمنى لو تستطيع تصديقي. أدار رأسه نحوها لينظر إليها، وبدا معافى وفتيًا كعادته، فأحست «جودي» أن الأطباء أخبروه بأنه سيعيش فترة أطول، وقال بتأدب:

– لن تستطيعي إقناعي أبدًا، أعرف لمَ تزوجتني وأنتِ تعرفين السبب أيضًا. دعينا نواصل حياتنا معترفين بالحقيقة دون الحاجة إلى التظاهر من كلا الطرفين. باعترافك أنت، كان ما فكرت فيه منذ البداية هو المال.

– نعم، في البداية. أخبرتك بصراحة حين سألتني.

وتماسكت لئلا تنهمر دموعها وهي تستعيد في ذهنها ما حدث بينهما في غرفة النوم، إذ دخل «فيداس» طالبًا التوضيح الكامل ودون أن يبدو عليه الغضب... كم كان سيكون الوضع أسهل لو أنه انفعل وصرخ. إلا أنه كتم كل ذلك عنها فكلّفه الأمر جهدًا مضاعفًا. سأل «جودي» عما إذا كانت لثروته علاقة بزواجهما، وحين لم تعد قادرة على الكذب أجابته بأنها كانت سببًا مهمًا في البداية، ولم يعد يسمع شيئًا بدا عليه الغياب الكامل. لم يسمع احتجاجها بأنها وخلال ساعات من لقائها به لم تعد

تهتم بالمال بل بشخصه هو وبما أحسته نحوه من انجذاب وصرخت:

– أحبك يا «فيداس»! وحاولت الإمساك بيده إلا أنه ابتعد عنها.

– أحبك! وكما قلت كأن الأمر معجزة... حبنا معجزة، قلت ذلك وهذه هي الحقيقة.

– إنك لطيفة معي يا «جودي» لأن هذه طبيعتك، لكن كوني صريحة واعترفي بأنك لا تحبينني. وقفت إلى جانبه بعد أن فتحت بوابة الحديقة. قالت بلهجة متعبة ومستسلمة بعد أن قضت اليومين الأخيرين محاولة إقناعه دون جدوى.

– إذا لم تكن واثقًا بحبي... إذن لم يعد هناك ما أستطيع عمله. قال محدثًا نفسه: «آه لو أستطيع الاقتناع!» ونظر إلى وجهها مرة أخرى وكأنه ينشد الحقيقة.

– كيف يستطيع المرء الثقة بالمرأة يا «جودي»؟ خاصة إذا كانت عطوفة مثلك وتبرر ذلك بالحب؟ كان صوته مريرًا فعلمت أنه يفكر في أنها لم تمنحه منذ البداية غير الشفقة. فتحت فمها لتعترض إلا أنها أغلقته ثانية. ما فائدة ذلك؟ بعد كل ما قالته له واعترافها له بكل التفاصيل لم يبق أمامها ما تفعله غير أن تقبل بعلاقتها كما هي الآن، بلا مودة... إلى أن يقتنع بخطإ موقفه يومًا.

كانت مجبرة على الاعتراف بالعديد من الأشياء في آن واحد. اعترفت باهتمامها بالسبب المادي أولاً، ثم تزويرها الرسالة وكذبها عليه حين أخبرته بإتلاف الورقة الموقعة، وسألها عن زيارة والدها وسبب بكائها... أكاذيب وأكاذيب... واعترفت بها جميعًا بعد زيارة «حنة». لم يكن طرد «حنة» عزاء لها، بل فضلت لو أنها لم تأت أساسًا، وكان «فيداس» قد

أخبر «حنة» بأنه لا يرغب في سماع ما فعلته زوجته. كما أنه لم يعلم بأمر زيارتها ولم يوافق عليها حينئذ، وبكت «جودي» كثيرًا حين أخبرها فيما بعد بما قاله لـ «حنة». ساد الصمت بينهما في أثناء تناول العشاء، ثم توجه «فيداس» إلى مكتبه بعد ذلك، وبقيت «جودي» جالسة في الصالة وهي تلعن «حنة»؛ لمجيئها في ذلك الوقت وليس بعد شهر.

وحين نامت بجوار زوجها في تلك الليلة، لم تستطع النوم، وتساءلت عمّا إذا كان في مقدورها النوم كالسابق من الآن فصاعدًا. إذ لم تستطع التوقف عن التفكير في عذابها وعزلتها لحظة واحدة. كما أن شبح المستقبل القريب وما سيحدث لها كانا يقضّان مضجعها. تحرك «فيداس» وضمها إليه... إلا أنها لم تكن قريبة منه كالسابق. كانت تفصل بينهما ستارة كبيرة من الشك، فبدأت البكاء حتى بللت مخدتها وبقيت صاحية حتى الصباح.

قررا صباح اليوم التالي أن يتسلقا قمة جبل «بانتوكراتور». باشرا رحلتهما في وقت مبكر حيث قاد «فيداس» السيارة شرقا إلى «سبارتيلا»، ثم تركا السيارة هناك وانطلقا سيرًا على الأقدام، وكان من عادة «فيداس» في مثل تلك المناسبة. الإمساك بيدها طوال الطريق. أما اليوم فلم يحاول ذلك، واكتفى بالسير إلى جانبها صامتًا. كيف تستطيع إقناع رجل يقترب بخطوات سريعة من نهايته بأنها تحبه وأحبته منذ البداية دون إحساس بالشفقة؟ رغم أن الشفقة أمر متوقع في حالته تلك، ونظرت إلى وجهه فوجمت لوجومه وصرامة ملامحه. واصلا السير صامتين، ليس صمت المحبين المتفاهمين فلا حاجة إلى النطق بالكلمات، ولكنه صمت الاكتئاب من جهة «فيداس» والغيظ من جهة «جودي» لعدم قدرتها على

استعادة المودة والألفة بينهما. وكان الصمت مؤلمًا بالنسبة إلى كليهما. إلا أنها لاحظت أن سلوكه اللطيف المهذب لم يتغير، بل بقي يساعدها كلما ارتأى حاجتها إلى المساعدة. تمتمت «جودي»:

– يا لها من كمية كبيرة من أشجار الزيتون! ووقفت لترتاح لحظة ولتنظر إلى الأفق الأخضر المتألق.

– إننا نفخر بامتلاك أفضل أشجار الزيتون في «اليونان»، وعددها كثير، لأن الفينيقيين خلال احتلالهم الجزيرة، كانوا يدفعون مكافأة لكل من يزرع شجرة زيتون.

– هناك شيء غريب بخصوص الشجرة... إنها تبدو كأنها شجرة مقدسة.

– نعم وتعيش شجرة الزيتون فترة طويلة، انظري إلى تلك الجهة... وإذ رفع يده ليشير إلى الجهة المعاكسة، فلمست خدّها فاستدار لينظر إلى وجهها والتقت عيناه بعينيها. لابد من أنه يعرف مشاعرها... وهز رأسه ثم ضمها بين ذراعيه بقوة وحب وبقيا هكذا فترة طويلة في العزلة الجبلية الساحرة. غرّد بلبل قربهما وسمعا صوت أجراس قطيع من الغنم من مكان بعيد. همس بصوت متحشرج دلّ على حبه:

– يا عزيزتي... لم جاءت إلى هنا؟ لمَ لم تتركني جاهلاً بالحقيقة؟ وأبعدها عنه ليتفحص وجهها فلاحظ علامات الفرح تسوده بعد قلق طويل، فأدرك أنها مستعدة لتمنحه كل شيء لأنها تحبه، وقال بصوت هادئ:

– كنت ممتنًا لها لأنها أنقذت حياة ابن أخي... أما الآن فإنني أكرهها.

ففكرت «جودي» أن «حنة» فقدت حتى الإحساس بالامتنان بعد أن ظنت أن في مقدورها الفصل بين «جودي» وزوجها وإحلال الكراهية بينهما. كل ما نجحت في عمله هو مسح صفة الكمال عن سعادتهما.

– لنبدأ التسلق، إذ قد يتطلب الوصول إلى القمة مدة ساعتين. هل أنتِ مستعدة؟ ابتسمت وأومأت برأسها علامة الإيجاب، وخاطرت بمدّ يدها لتمسك يده فأدركت خطأها حين أحست بتصلب أصابعه، ثم سحب يده. كلا لم يغير رأيه بعد ولا زال يعتقد أنها تشفق عليه. أدارت رأسها لتخفي دموعها، وأخذا يسيران صامتين مرة أخرى حتى وصلا إلى القمة، فهتفت بإعجاب:

– آه يا له من منظر رائع! أومأ برأسه مبتسما لحماسها وابتسامتها الناعمة.

– نعم إنه رائع... أليس كذلك؟ واستطاعا رؤية الجزيرة بكاملها وكذلك الساحل الألباني البعيد. وسألت «جودي» مشيرة نحو الشرق:

– ما هذا؟

– «أبيروس»، إنها منطقة جبلية مشهورة، وهناك العديد من القرى الصغيرة، أظن أنك ستحبينها. ولم يذكر شيئا عن الذهاب. لابد من أنه لم يبق وقت طويل أمامه على أية حال... وقالت إذ باشرا النزول:

– كان علينا أن نجلب بعض الطعام معنا ونتناوله هناك.

– هل أنت جائعة جدًّا؟ فهزت رأسها نفيًا وقالت:

– كلا، لكن كل ما فكرت فيه هو لو أننا جلبنا معنا شيئًا نأكله لبقينا فترة أطول.

– هل تحبين العزلة؟

– نعم. وأضافت في داخلها: «حين تكون معي».

– وأنا كذلك. ونظر حوله ثم إلى السماء فرأى الغيوم تتجمع على قمم «أبيروس»... كان مشهد البحر مذهلاً، وكان المنظر الشامل للبحر والسماء والجبال ساحرًا خلابًا. وراقبت «جودي» زوجها ينظر حوله وكأنه يحاول الإمساك بكل التفاصيل ليكتنزها في ذاكرته. لم يبق أمامه غير القليل من الوقت... فما الذي كان يفكر فيه؟ وقاومت رغبتها في الاقتراب منه والإمساك بيده مرة أخرى لتجنبه مرارة الأفكار الكئيبة. كم كان سعيدًا قبل مجيء «حنة»! لم يكن كئيبًا ولم يشعر بالحزن لمصيره، بل كان يغتنم فرص السعادة كلما سنحت له، وكان هادئًا هدوء المستسلم لمصيره خلال الأيام القليلة الباقية له يرتشفها بهدوء ولذة... إلا أن سعادتهما انتهت وساد بينهما الوجوم الآن.

– حالما نصل القرية، سنتناول الغداء في مطعم صغير أعرفه... يتوفر فيه السمك الطازج والخضراوات وأنواع الفاكهة. وجلب لها صاحب المطعم قائمة الطعام، وبينما يتفحصانها شغل نفسه بترتيب منشفة شاي بيضاء وضعها أمام «جودي». قال له «فيداس»:

– سنأكل السمك يا «سبيروس» وسنترك لك اختيار الباقي.

– حسنًا جدًا، ستتناولان غداء جيدًا.

– لم يسمّى الكثير من الرجال «سبيروس» هنا؟ سألته «جودي» هذا السؤال بينما تابعت بنظراتها الفضولية الرجل وهو يدخل المطعم، بينما كانا جالسين إلى طاولة وضعت في الخارج تظللها أوراق شجرة العنب.

– أينما توجهنا وجدنا رجلاً يدعى بذلك الاسم.

– في كل بيت في «كورفو»، هناك طفل يدعى «سبيروس»؛ لأنه اسم القديس

الحامي للجزيرة، القديس «سبيريدون»، وترغب كل عائلة في إطلاق اسم «سبيروس» على أحد أولادها... هذا هو التفسير الوحيد للظاهرة. وعاد «فيداس» إلى صمته بينما نظرت «جودي» حولها تتفحص المكان. كانت الزهور وفيرة كالعادة حول المقهى، وغطت الشراشف البيضاء الطاولات الموضوعة خارج البناية. بينما توجهت زهور شجرة الرمان الكبيرة نحو ضوء الشمس وحمت أشجار الليمون الحديقة من الريح الهابة من الغرب وفاحت في الجو عطور الأزهار مضيفة بذلك سحرها الخاص على المكان. قالت «جودي» أخيرًا:

– أخبرني بالقديس «سبيريدون»... فبدا الاهتمام على وجه «فيداس». كم كان وسيمًا، طويل القامة، داكن البشرة وجذابًا بعينيه الرماديتين وبشرته الصافية. أحست بتسارع دقات قلبها، كما يحدث لها دائمًا كلما تفحصته هكذا. وإذ احمرّ وجهها لأفكارها الخاصة. نظر إليها «فيداس» متسائلاً فكررت السؤال من جديد.

– كان مطران «قبرص» ولم يزر «كورفو» في الحقيقة، طوال حياته، إلا أنه دُفن هنا بعد موته... ويعزو له الناس حدوث الكثير من المعجزات.

– بعد وفاته؟ قاطعته «جودي» لتذكّره بخطئه إذ قال أولاً إن القديس لم يزر الجزيرة في أثناء حياته. ولدهشتها أومأ «فيداس» إيجابًا:

– نعم، بعد وفاته، يقال إنه أنقذ الجزيرة من المجاعة وأنهى طاعونا مسح «أوروبا» كلها... و... ثم توقف عن الكلام وقال مستغربًا:

– وماذا بعد؟ وكأن «جودي» كانت تعرف الجواب، فلاحظت عودة الابتسامة إلى وجهه بعد طول تجهم.

– أظن أنه أنقذنا من غزو الأتراك ذات مرة، آه، نعم... ساعدنا على

دحر الترك... كما أتذكر الآن.

– كل هذه المعجزات بعد وفاته؟ لكن الناس لا يعتقدون صحة ذلك بالتأكيد؟

– بالطبع، يعتقدون ذلك، ويتم حمل تابوته أربع مرات في السنة، خارج الكنيسة وفي أنحاء الجزيرة كلها، إن كنيسته مليئة بالكنوز المهداة من قِبَل ناس لمسوا معجزاته بطريقة أو بأخرى. وضحك «فيداس» لتعبير الاشمئزاز المرتسم على وجهها لفكرة حمل تابوت عمره ستمائة عام، وحمله في مسيرة تطوف الجزيرة. قالت أخيرًا:

– إنه أمر يثير التقزز. وسمعا اقتراب «سبيروس» حاملاً صينية الطعام، فطلب منها «فيداس» الصمت، وإلا جرحت مشاعر «سبيروس» بملاحظتها. سألته «جودي» بعد أن غادر الرجل:

– هل تؤمن بكل هذه الأشياء؟ فهز رأسه نفيًا وقال:

– لا أؤمن بها شخصيًا لكن غالبية الناس يفعلون، إن القديسين مهمون بالنسبة إلى الشعب اليوناني. وأخبرها كيف يقفون في صف طويل داخل الكنيسة انتظارًا لتقبيل إيقونته.

– وفي الحقيقة يقوم بعض الناس بتقبيل قدميه... وإذ لاحظ توقف «جودي» عن تناول الطعام كلية أضاف ضاحكًا:

– من خلال الصندوق الزجاجي المحيط به فقط.

وضحك من جديد مداعبًا إياها ومحاولاً إثارتها فأحست بالتقارب يسودهما. ومر النهار بطريقة أفضل من اليوم السابق حتى إنها تساءلت عن إمكانية عودة الانسجام بينهما بعد مرور فترة قصيرة من الزمن. عادا إلى البيت بعد الغداء، حيث أخذا ملابس السباحة ثم قضيا بقية

النهار متمددين قرب البحر وتحت أشعة الشمس. هب نسيم عليل من جهة البحر فراقبت «جودي» الأمواج تتقلب ثم تتلاشى عند الساحل. كانت السماء صافية سوى مجموعة غيوم صغيرة دفعها النسيم بعيدًا عن الجزيرة.

– هل ترغبين في تناول الشاي؟ كان «فيداس» مضطجعًا على الرمل واستدار نحوها عندما طرح سؤاله، وانتهز الفرصة لينظر إلى زوجته وبشرتها السمراء بتأثير حمّامها الشمسي اليومي.

– سيكون ذلك لطيفًا... هل نستطيع تناوله في المقهى القريب؟ أومأ موافقًا ونهض واقفًا على قدميه فالتقط المنشفة وساعدها على تجفيف شعرها. كانت لمساته ناعمة ورقيقة ولم تستطع مقاومة أحاسيسها فاقتربت منه وقبلته على خده فابتعد عنها بحركة تلقائية واستدار ليرتدي ملابسه. أحست «جودي» بغصة في حلقها فالتقطت منشفتها ومشطت شعرها ثم ناولت «فيداس» المشط ليمشط شعره بدوره.

وبالطبع، لم يمسك بيدها عندما سارا سوية. بل بالعكس زاد من سرعة خطواته فخلق مسافة فاصلة بينهما لم تستطع «جودي» اجتيازها...

- 9 -

بدأ «فيداس» يقضي معظم وقته في مكتبه بينما يترك «جودي» لتشغل نفسها بالقراءة أو التجوّل في الحديقة، متحسرة على الأيام الضائعة والذكريات التي كانت تدخرها للسنوات القادمة، حين تستعيد صورة هنائها حتى تخبو الذكريات وتتلاشى بالتدريج، وحتى لو تقدّم بها

العمر، فكرت «جودي» في أنها ستكون قادرة على استعادة ذكرى زوجها وحبهما. إلا أن زيارة «حنة» أحالت الأسابيع الأخيرة إلى أطياف مهزوزة بالمقارنة مع الماضي القريب السعيد.

تنهدت وتحركت قلقة في كرسيها، ثم رفعت رأسها فقطبت جبينها... ماذا جرى لـ «ليدا»؟ لقد لاحظت اضطراب «ليدا» واقترابها منها بطريقة ذكرتها بسلوكها يوم أبلغتها بزيارة «حنة». تقدمت «ليدا» نحو «جودي» متلفتة حولها كأنها تخشى أن تكشف سرًا. ثم همست:

– يا سيدة «فيداس». هنا سيد أبلغني رسالة لك وأخبرني بألا أذكر شيئًا للسيد «فيداس» أو زوجي أو أي شخص آخر عداكِ. طرفت «جودي» بعينيها وطالبت «ليدا» بالتوضيح:

– يجب أن أبلغك هذه الرسالة، يقول الرجل إنه طبيب ويريد لقاءك بشكل مُلحّ. يقول إن للأمر علاقة بالسيد «فيداس» وأعطاني مكافأة لتبليغك ما قلته... يجب ألا تخبري زوجي فهو سيأخذ مني النقود وأنا أحتاج إليها بشدة. قاطعتها «جودي» بلهجة مرتجفة:

– لن أذكر شيئًا لـ «سبيروس» يا «ليدا». أين الطبيب؟

– هذه الورقة... وسحبت ورقة مطوية من جيب فستانها الأسود.

– كتب الرجل رقم تليفونه وطلب الاتصال به، قال يجب ألاّ تكتبي شيئًا.

– وماذا عن اسمه؟ ما هو اسم الطبيب؟

– إنه اسم غريب وقال إنني سأنساه... تسلّمت «جودي» الورقة مستغربة ونظرت إلى رقم الهاتف... طبيب؟ ما معنى هذا؟

– أخبرني بأن أقول لكِ إنه طبيب وألا تخشي شيئًا يا سيدة «فيداس»،

إنه رجل أشيب ووجهه ذو تجاعيد كثيرة، وأظن أنه رجل طيب.

– أين التقيت به؟ ارتجفت «جودي» وتساءلت في نفسها عما إذا كانت تبدو شاحبة كما أحست. لابد من أنه طبيب يعرف شيئًا عن «فيداس»، ولكنه بالتأكيد ليس طبيبه الخاص...

– لم يلجأ إلى كل هذا التحفظ؟

– كما تعلمين، أعمل يوميًا في البستان وقد مرّ هذا الرجل عدة مرات أمامي ثم عاد ونظر إليّ، كان «سبيروس» في البستان أيضًا فانتظر الرجل ذهاب «سبيروس» إلى المنزل ثم همس قائلاً بأنه سيعطيني مكافأة مالية إذا ما أبلغت زوجة «فيداس» ملاحظته، سأذهب الآن يا سيدة «فيداس»، أرجو ألاّ تقولي شيئًا لـ «سبيروس».

– أعدك بذلك، شكرًا لإعطائي الورقة. ابتعدت المرأة، ولم تكن فضولية مثل زوجها. لابد من أن الطبيب اكتشف أن من الأسلم الوثوق بها بدلاً من الزوج. حدقت «جودي» إلى الورقة طويلاً وتسارعت دقات قلبها. هل كان هذا ممكنًا؟ ودخلت المنزل فصعدت إلى الطابق الأول نحو غرفة يستخدمها «فيداس» قبل زواجهما، لكنها نظرت إلى الهاتف فترة طويلة قبل أن ترفع السماعة أخيرًا.

وبعد خمس دقائق كانت «جودي» جالسة على حافة السرير ترتعش من قمة رأسها حتى أخمصي قدميها. جبينها مغطى بالعرق وعواطفها مشتتة. إنه الأمل... الأمل أخيرًا.. بعد بقاء خمسة أسابيع فقط على مصير زوجها المحتوم.

في الأيام السابقة، كلما قال «فيداس» إنه ذاهب للعمل في مكتبه كانت «جودي» تحس بالانقباض. إلا أنها وبعد انتهائها من الإفطار صبيحة

اليوم التالي، حسبت الدقائق انتظارًا لدخوله المكتب، وراقبته مسترخيًا في كرسيه على الشرفة، حزينًا كعادته... كان يفكر في كل هذا الجمال ومغادرته إياه بعد أسابيع... وأرادت أن تقول له... «يا عزيزي «فيداس»، هناك أمل». إلا أنها لم تجرؤ على لفظ الكلمات حيث أصر الدكتور «فان ألدن» على كتمان الخبر عن زوجها إلى أن تلتقي به. قالت «جودي» أخيرًا:

– هل ستعمل في مكتبك اليوم؟ فلحظت استدارة «فيداس» المفاجئة. عضت شفتها وواصلت بنعومة:

– من الأفضل التبكير بأدائه كي تنتهي بسرعة لتعود إليّ. نظر إليها فترة طويلة إلا أنها كانت مخلصة في لهجتها فلم يتطرق إليه الشك.

– قلت إنك يجب أن تعمل كل يوم خلال هذا الأسبوع. كلا لم يعد يرغب في قضاء كل دقيقة معها... بل يفضّل العزلة للتفكير في كلمات «حنة»... كلمات كان من شأنها أن تمحو صورة «جودي» المثالية في ذهنه.

– نعم يا «جودي»، قلت ذلك. ودون كلمة أخرى تركها ذاهبًا إلى المكتب. بعد لحظات، دخلت «جودي» إلى المنزل لتأخذ سترتها وحقيبة يدها الصغيرة من غرفة النوم. وبعد فترة وجيزة كانت تركض إلى مكان موعدها مع الطبيب. كانت سيارته هناك... رأتها عن بعد... ثم أحست بالخوف. ربما كان محتالاً؟ ربما كان ما قاله لها خدعة! ربما ستكون ضحية اختطاف مدبّر، وتخيلت قلق زوجها وما سيعانيه من مصاعب نتيجة خطوتها المتسرعة. إلا أن رغبتها في معرفة ما سيحدث لـ «فيداس» كانت أكثر أهمية فأسرعت نحو السيارة. غادر الرجل السيارة إذ رآها

تتقدم فأحست بالاطمئنان مستعيدة ما قالته «ليدا» عن أوصاف الرجل وملامحه الطيبة. وقف إلى جانب السيارة منتظرًا إياها وكان الباب مفتوحًا، ولاحظت بياض شعره وتجاعيد وجهه فبعث مرآه الطمأنينة والثقة بنفسها. وبدّدت ابتسامته كل أثر للشك. قال حين وقفت إلى جانبه:

– يجب أن تعذريني يا سيدة «تيرون» لهذه الطريقة السرية في استدعائك، إلا أنها ضرورية وستوافقينني على ذلك قريبًا، أرجو أن تدخلي السيارة، وسنذهب إلى مكان نستطيع التحدث فيه بحرية. لم تتحرك «جودي» إذ لم تكن قادرة على الحركة واكتفت بالهمس قائلة:

– دكتور «فان ألدن»... إن زوجي... قلت إنك تستطيع معالجته. لفظت الكلمات بلهجة أظهرت للطبيب مدى حبها واهتمامها بزوجها. بدا العطف واضحًا في وجهه وأحست بيده تلمس ذراعها لتقودها إلى السيارة.

– إذا كانت هناك أية فرصة... أخبرني الآن رجاءً. ولدهشتها الشديدة انهمرت دموعها بغزارة بعد دخولها السيارة وجلوسها إلى جانبه، ثم قاد السيارة بهما.

– لابد من أنكِ عانيتِ كثيرًا يا سيدة «تيرون»، خذي منديلا من تلك العلبة وامسحي دموعك... دعينا نبتعد عن هذا الطريق الرئيسي إلى مكان هادئ حيث نستطيع تبادل الحديث. قاد السيارة بصمت فقالت «جودي» بعد أن جففت دموعها:

– ما لا أستطيع فهمه هو عدم لقائك بزوجي بدلاً مني. أجابها باختصار ووضوح يدلان على قلة حديثه:

– لأنه يجب اتخاذ قرار حاسم في المسألة، وأعتقد أنك من سيتخذ القرار.

وإذ أحست برغبة في الصمت، لجأت هي الأخرى إلى السكوت وفكّرت... قرار؟ بالتأكيد، إذًا هناك أمل في إنقاذه فلابد من وجود قرار واحد إذن. يا له من شيء غريب هذا الذي يتحدث عنه! ورغم اشتياقها نجحت في إخفاء شعورها وصمتت انتظارًا لتوضيحه... وأخيرًا انحرف الدكتور بالسيارة إلى شارع جانبي ثم إلى طريق ترابي وأوقف السيارة هناك، وحين أوقف محرك السيارة استدارت نحوه والتساؤل يطل من عينيها.

بدأ الطبيب حديثه قائلاً:

– نعم، إنك مشتاقة ومن حقك ذلك... سأوضح لك كل شيء ولأبدأ أولاً.

ثم أوضح لها أنه كان يعمل طيلة السنوات الخمس الماضية في وطنه «هولندا»، إلا أنه قرر بعد ذلك مع صديق له تكريس جهودهما للبحث عن أحد أمراض جزر الشرق الأقصى. اختارا ثلاث جزر لا تفصل بينها مسافة كبيرة، وفي إحداها بنى «فيداس» ذلك المستشفى الحديث.

– جعلنا من تلك الجزيرة مركزًا لأبحاثنا بسبب المستشفى ومعداته الحديثة، والمرض الذي أصيب به زوجك مرض منتشر في الجزر الثلاث، إلا أننا لم نعلم حينئذ بإصابة زوجك، وكان غموض المرض تحديًا لنا، فكرسنا جهودنا كلها لمعرفة طبيعته فاكتشفنا دواء بدأنا تجربته. ولمحت «جودي» لدهشتها اختفاء بريق الانتصار في عينيه وحلّ الفشل محله.

– أثارنا الاكتشاف إلى حدٍّ بعيد، فالمرض خطير وقاتل ولم يكن هناك علاج له، وتصوري ما حدث لنا حين مات ثاني مريض عالجناه بالدواء، ثم عالجنا عددًا آخر من السكان المحليين إلا أن أغلبهم توفي. صمت مرة

أخرى وقطب جبينه، ثم هز رأسه يأسًا. أحست «جودي» برطوبة يديها وسرت البرودة في جسمها كله، وحين ذكر الدكتور «فان ألدن» نجاحه ارتفعت معنوياتها وكادت تصرخ فرحًا للأمل الجديد حيث المستقبل المشرق في انتظارها مع زوجها.. لكن. ونجحت أخيرًا في سؤاله والألم يحز في صدرها:

– هل عالجت عددًا كبيرًا من الناس؟

– عددًا كبيرًا... وسكت متنهدًا.

– ما هو عدد الحالات الناجحة؟

– ثلاث يا سيدة «تيرون».

– من أي مجموع؟

– من مجموع أربعة وثلاثين شخصًا عولجوا بهذا الدواء.

– أربعة وثلاثون، نجا منهم ثلاثة مرضى فقط! هذا يعني أن نسبة نجاح «فيداس» ستكون أقل من واحد بالعشرة. شحبت وأحست كما لو أن الدم جف في عروقها، واستطردت:

– كيف عرفت بحالة زوجي؟

– من الأحاديث المتبادلة بين الأهالي، لكن من أسبوعين فقط، ورغم أننا كنا نعمل في مستشفى زوجك إلا أننا لم نعلم إصابته بالمرض، وحالما عرفنا لم نضيع وقتًا في التقصي والبحث، فاتصلنا بزملاء لنا في «هولندا» فاتصلوا بدورهم بأطباء زوجك إلا أن الأخيرين نصحوهم بنسيان المسألة... لم يكن نجاحنا كبيرًا، لذلك أجاب «فيداس» أطباءه بأنه يرغب قضاء الأسابيع الأخيرة من حياته سعيدًا خاصة بعد زواجه بفتاة أطلق عليها لقب ملاك... ونظر الطبيب إلى «جودي» فلاحظ احمرار وجهها خجلاً فطلبت منه مواصلة الحديث.

– وقرر الأطباء، أخيرًا، أن من القسوة حرمانه وزوجته من سعادتهما المؤقتة وتعريضه لخيبة أمل. واكتشفنا نتيجة تحقيقاتنا الخاصة أن عددًا قليلاً من الناس يعرف إصابة زوجك بالمرض، فباستثناء عدد من الأطباء ورجال الأعمال، كتم زوجك الخبر عن الجميع.

فكرت «جودي» في «جون» والمعلومات التي أخبرها إياها وسمع بها عن طريق صديق لـ «فيداس».

– هذا القرار... بدأت «جودي» الحديث إلا أن الدكتور قاطعها:

– أولا أرغب في معرفة مدى ثقتك بي يا سيدة «تيرون»؟ إنك إنجليزية... ثم هناك شيء في عينيك يعبر عما هو أكثر من الحزن لمصاب زوجك، كيف تعرّفتِ إليه؟ ترددت لحظات، ثم أخبرته بالقصة بكاملها، منذ البداية حتى النهاية. منذ لحظة قراءة رسالة «فيداس» لـ «حنة» وعرضه الزواج بها إلى مجيء «حنة» وفضحها لسرّها... وما تلا ذلك من قطيعة بينها وبين زوجها. أخبرته «جودي» بكل شيء وراقبت في الوقت نفسه تعابير وجهه المتأرجحة بين الدهشة والتعاطف خاصة حين تحدثت عن حبها العظيم لـ «فيداس» وحبه لها، وأنهت القصة بقولها: إنها لا تستطيع الآن إقناع «فيداس» بحبها له، فهو يعتقد أنها إنما تشفق عليه.

وقال الدكتور حين صمتت «جودي»:

– يا لها من قصة عجيبة! تزوج «فيداس» خطأ إلا أنه أحب الفتاة.

فأضافت «جودي» ببساطة:

– وأحبته هي أيضًا.

– نعم، حقًا، وأردت حفظ السر إلى حدّ عرضت فيه الثروة كلها على «حنة» مقابل صمتها؟

– كانت الثروة من حقها أساسًا، فقد كانت الفتاة المطلوبة للزواج، ولولا

مغادرتها «إنجلترا» لحدث ذلك، ثم انتحلت أنا شخصيتها وتزوجت «فيداس» بدلاً منها. واستمر الطبيب يهز رأسه عجبًا، وبدا على «جودي» نفاد الصبر، فقد كانت في انتظار توضيحه للعلاج المقترح.

– القرار... لم أفهم حتى الآن لماذا لم تحاول الاتصال بزوجي مباشرة؟

– من الطبيعي ألا نحاول الاتصال به احترامًا لرغبته وما قاله لأطبائه، إنهم لا يثقون بعلاجنا إطلاقًا، وبصراحة لا أستطيع لومهم على ذلك، كما أخبرهم السيد «تيرون» بسعادته العظيمة ووجهة نظره تتلخص بوجوب تركه وحده والسماح له بالتمتع بسعادته خلال الأسابيع القليلة المتبقية له، القرار يعود لكِ، تستطيعين مواصلة الوضع كما هو أو مناقشة الموضوع مع زوجك...

– ولكننا لن نخسر شيئًا في المحاولة... قالت محتارة ومستغربة للطريقة التي تفادى بها الطبيب النظر إليها مباشرة:

– ستعالجه فإذا ما فشل العلاج سيتوفى وهو أمر سيحدث له في كل الأحوال. توقفت في انتظار استجابته، إلا أن الطبيب بدا في متاهة وعالم آخر فكررت ما قالته من قبل:

– كلا، لن نخسر شيئًا.

– يا سيدة «تيرون»، أعتقد أن زوجك سيعيش فترة أطول مما أخبره أطباؤه.

– كيف تستطيع قول ذلك يا دكتور «فان ألدن»؟ ورغم تمالكها أعصابها طوال الوقت، فقدت «جودي» سيطرتها على نفسها الآن، وقالت:

– إنك لم تلتقِ بزوجي، فكيف تستطيع الحكم على ذلك؟

– كلا، إنني رأيته... إذ بذلت جهدي للتحقيق في كل شيء... ورأيته يوم أمس معك على ساحل البحر، كنتُ منطرحًا على بعد أمتار منكما،

إلا أنه حين سبح وحده ذات مرة اقتربت منه إلى حدٍّ كبير، كما تبعتكما إلى المقهى، وجلست في مكان استطعت فيه مراقبة زوجك... لا أعرف طوال المدة التي سيعيشها إلا أنني عالجت الكثيرين من سكان الجزر وأعرف جيدًا أعراض النهاية، أما أطباؤه فتنقصهم الخبرة اللازمة، لذلك أخبروه بأنه سيعيش عامًا واحدًا.

– عامًا؟

– نعم، في حينه. لم يهتم «فيداس» في حينه ويفكر في الزواج لأن شقيقه كان حيًّا وكانت عائلته الوريث الشرعي. إلا أنه قرر الزواج بعد وفاتهم وكان قد بقي أمامه ستة شهور فقط.

– أيعلم زوجك باطلاعك على مرضه؟ قطع عليها صوت الطبيب سلسة أفكارها فأومأت إيجابًا. إذ تكفلت «حنة» بإخباره متهمة إياها بالزواج به لمعرفتها بمرضه ولرغبتها في الحصول على ثروته.

– هل صدق زوجك ذلك الادّعاء؟ ارتمت المرارة على وجهها:

– نعم، لأنني كتمت معرفتي بالسر، وهكذا أضيف هذا إلى بقية الأكاذيب.

– إلا أنه تفهم، بالتأكيد، رغبتك في حمايته من الألم؟

– لم نناقش الموضوع قط. ولا أعرف ما الذي يفكر فيه «فيداس»، لم يكن مغتاظًا مني بل اكتفى بالصمت المؤلم واجترار أحزانه وحده. أدارت «جودي» رأسها فلاحظ ارتجاف شفتيها.

– إنه لم يعد يصدق حكاية زواجه بملاك. ثم سألت الطبيب عن الفترة التي يعتقد أن زوجها سيعيشها.

– أستطيع القول من ملاحظاتي ومراقبتي لسكان الجزيرة المرضى، أنه سيعيش شهرين آخرين. لاحظنا في كل الحالات ظهور بقعة زرقاء على

جانبي فكي ضحية المرض أو على عنقه، في حدود ستة أسابيع قبل وفاته... ولاحظت ظهور البقعة على عنق زوجك إلا أنها فاتحة اللون إلى حدٍّ لم يكن في مقدوري ملاحظتها دون البحث عنها. وصمت قليلاً ثم أضاف بصوته الهادئ الرتيب:

– وهكذا بما أن أمامه شهرين يحياهما فقد تقررين مواصلة الحياة معه بهدوء. قطبت «جودي» جبينها وقالت بنفاد صبر:

– قلت لك مرتين يا دكتور «فان ألدن» إن معالجتك لزوجي لا تعني خسراننا شيئًا أبدًا. وبدا وكأنه ينشد أفضل طريقة لتوضيح الأسوأ لها:

– في كل حالة عالجنا فيها المريض حدثت الوفاة في فترة أقصر من المتوقع. وساد بينهما صمت ثم قالت «جودي»:

– هناك، إذن، شيء نخسره؟

– نعم يا سيدة «تيرون»... شهران من السعادة، وهكذا يجب أن تفكري جيدًا قبل اتخاذك القرار، إذا قررنا معالجة زوجك سيتطلب الأمر إرساله إلى المستشفى في «أثينا»، ويجب إدخاله المستشفى فورًا... فكل دقيقة تمر تزيد من خطورة حالته، هذا إذا قررت وزوجك المخاطرة خاصة أنت تعلمين ضآلة نسبة النجاح، فإما الحصول على كل شيء أو فقدان كل شيء... إذا فشل العلاج سيموت خلال أسبوع واحد أما إذا نجح... حينئذ... ولم يكن هناك داعٍ لقول أي شيء. قالت «جودي» بصوت مذعور:

– كلا لا نستطيع المخاطرة يا دكتور، خصوصا والنسبة ثلاث من أربع وثلاثين حالة. ثم هزت رأسها بتصميم:

– كلا، لا أريد فقدانه... ما لم تكن هناك حاجة ماسة، شهران! إنه وقت طويل، طويل! وكانت على وشك الإصابة بانهيار عصبي.

www.rewity.com

– شهران كاملان! أريد أن أعيش الشهرين معه... لا أن أكون أرملة قبل ذلك الوقت، شكرًا لاتصالك بي وأقدّر كثيرًا جهدك ونياتك، لكن أرجوك عد إلى الجزيرة واتركنا وحدنا.. اتركنا لسعادتنا المؤقتة.

وانهمرت دموعها وغصّت بكلماتها. كانت ترتجف من قمة رأسها حتى أسفل قدميها، فأمسك الطبيب بيدها ليهدئ من روعها.

– يا سيدة «تيرون»... سأعيدك إلى البيت الآن، حاولي الاسترخاء... هذا مهمّ جدًا... استرخي أولاً ثم فكري ثانيًا، ستجدين أن ذهنك أصفى بعد أن تنامي؛ لذلك يجب أن تقرري أنك ستنامين نومًا عميقًا...

– كلا، لن أنام، أنا أعرف ذلك جيدًا... ماذا يجب أن أفعله؟ وبكت بمرارة وحرقة متسائلة:

– دكتور «فان ألدن»، ماذا يجب أن أفعل؟

– إنني متأكد يا عزيزتي، أن القرار الذي ستتوصلين إليه صباحًا هو القرار الصحيح، لك ولزوجك، إذا قررتِ إهمال عرضي فسيكون القرار صحيحًا لك، أما إذا قررتِ القبول فإنك تعرفين رقم هاتفي...

- 10 -

دهشت «جودي» لقدرتها على إخفاء خبر موعدها بعد أن عادت إلى البيت، ورغم أن «فيداس» ذكر في أثناء تناول العشاء شيئًا عن شحوبها، فإنه قَبِلَ بما قالته عن معاناتها الصداع الشديد، وسألها بنعومة وهو يراقب تعابير وجهها:

– هل تشعرين بالتحسن الآن؟

– نعم يا «فيداس»، شكرًا، أنا أفضل بكثير.

ونظرت إلى عنقه في محاولة منها لرؤية البقعة الزرقاء. إلا أنها لم تعثر عليها. ربما سيعيش أكثر من شهرين... ربما سيبقى ستة أشهر أخرى. من الحماقة اختيار الحل الآخر. كلا، قالت «جودي» مخاطبة نفسها. وقررت إبقاء الأمور على حالها.

اقترح «فيداس» التمشي بعد العشاء، ثم جلسا لفترة قصيرة في الشرفة لتناول القهوة. كانت ليلة جميلة لا يُحظى بها إلا في الشرق. كان القمر كاملا يضيء الحديقة بنوره الغامر، ومن ظلمة السماء المخملية كانت تطل ملايين النجوم، وفجأة، رأت «جودي» سقوط نجمة ضاعت إلى الأبد في هوة اللانهاية.

– كم ستكون النزهة جميلة الآن.

يا لها من لهجة رسمية وخالية من المودة يتبادلانها الآن! كانا في الماضي قريبين من بعضهما، حُرّيْن في التعبير عن مشاعرهما وعواطفهما... يجب أن تتجاوز الحاجز... يجب أن تتكلم. ربما أن السبب هو التوتر الذي تشعر به منذ لقائها بالدكتور «فان ألدن»... وربما تفكيرها في الشهرين المقبلين واحتمال استعادتهما لشهر عسلهما ودوامه ما داما يرغبان في ذلك.

– عزيزي «فيداس»... ألا تقبل حقيقة حبي مرة أخرى؟ وأن ما أحس به نحوك هو الحب... الحب الحقيقي؟ وحدجته بعينيها إلا أنه هز رأسه. أحست بأنه رغم رغبته في تصديقها هناك ما يمنعه من الاعتقاد بصحة ما تقول، وأخيرًا قال بهدوء وبرود:

–إن عطفك مفهوم يا «جودي»، إنك ذات طبيعة عاطفية ومتسامحة، رأيت في البداية أنني محتاج إلى الزواج بسبب ما تبقى لي من وقت قصير، كذلك أدركت أن زواجي بـ «حنة» سيجلب لي الشقاء.

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

ولم يخبر زوجته حتى تلك اللحظة باقتراح «حنة» تغيير الوصية وترك ثروته لمن أنقذ حياة ابن أخيه، كما أراد في السابق. تألمت «جودي» لسماع ذلك واستغربت أن يوجد كائن خالٍ من المشاعر تمامًا مثل «حنة». تطلب من رجل على وشك الوفاة بعد عدة أسابيع طلبًا كهذا!

– لم أغيّر وصيتي... إنك زوجتي وسترثين كل ثروتي.

– «فيداس»، رجاء! لا أريد سماع شيء عن المال، ما فائدته حين أكون وحيدة دونك؟ كان وجهها أكثر شحوبًا من المعتاد وشفتاها ترتجفان. إلا أن زوجها نظر إليها بلا عاطفة قائلا:

– كان المال سبب الزواج في البداية، كلا «جودي» لا تقاطعيني رجاءً، باعترافك أنت وفكرت في الثروة المتوقعة بعد مرور ستة أشهر، وفي اعترافك لي بعد مغادرة «حنة»، حدثتني عن إحساسك بالخيبة والفشل، رددت زوجة والدك ذلك مرارًا فقررت أن تغيري وضعك وأن تصبحي غنية، وحينئذ لن يعتبرك أحد فاشلة، فيما بعد اعترفت بأن عطفك غطى اهتمامك الأول واستطعتِ أن توجهي عاطفتك نحوي. توقف وقد بدت عليه أمارات الحزن ثم واصل:

– إنه العطف فقط يدفعك إلى إقناعي بحبك. ورقت شفتاه إذ قال:

– نعم يا عزيزتي «جودي»، إنك عاطفية ورائعة ولو لم تظهر «حنة» لواصلنا حياتنا وحبنا السعيد. وانحنى لالتقاط كوب القهوة فلاحظ خلوه فأعاده إلى مكانه. ثم قال:

– ربما كان عليّ التظاهر بالسعادة حتى النهاية. نظرت إليه شاحبة وقالت وهي ترتعش:

– لا أستطيع إقناعك يا «فيداس» مهما حاولت. وهزّت رأسها بحرقة، ثم أضافت وهي تنهض:

– لنبدأ سيرنا إذن...

– ستحسين بالبرد.

وذهب إلى المنزل ليجلب سترتها ثم عاد ليضعها على كتفيها. سُرّت لاهتمامه ولو أنهما كانا في وضع طبيعي لقبلته شاكرة إلا أنها لم تجرؤ على ذلك الآن... لقد فقدا الكثير منذ زيارة «حنة» المشؤومة!

اجتازا بوابة الحديقة تاركين المنزل المضاء وراءهما، ودخلا عالمًا لا ينيره غير القمر حيث الهواء المفعم برائحة الأعشاب البرية النامية على جوانب التل وحفيف أشجار الزيتون، واستعادت «جودي» ما حدث ذات ليلة حين كانا يسيران معا فهمس «فيداس» في أذنها:

– هل تودين مواصلة السير يا عزيزتي أم تريدين العودة؟ فابتسمت وهمست موافقتها بالعودة، ثم عادا بكل حب وحنان. انهمرت دموعها لذكرى عزيزة اختفت فعادت إلى الواقع المر.مسحت دموعها فوقف زوجها ناظرًا إليها لحظة ثم – وبحركة رقيقة – مسح هو الآخر دموعها عن خديها.

– لا تبكي يا «جودي»، لقد قمتِ بكل شيء من أجلي ولا حاجة إلى إحساسك بالأسف، كنت سعيدًا معك أكثر مما كنت مع أية امرأة أخرى، كنتِ ملاكًا. وساعدت كلماته على زيادة انفعالها ودموعها فسحب «فيداس» منديله من جيبه قائلا:

– لا أريد هذا الندم، ألم أقل إن لا شيء يستحق الندم؟

– ليس لندمي علاقة بما تفكر فيه... إن دموعي من أجل شيء آخر. ثم لوّحت بيديها يأسًا:

– ما الفائدة؟ إنك مصرّ على عدم الاقتناع... وأرادت أن تسأله عما إذا كان حقًا، لا يصدق حبها أو يظنها كانت دعيّة في مشاعرها طوال

www.rewity.com مـرمـوريـة

الوقت... أرادت أن تذكره بلحظاتهما ليرى بوضوح أكبر. إلا أنها تعبت من المحاولة ويئست فاستسلمت للهم ولم تقل شيئًا. كان يتصرف بطريقة قاده إليها اقتناعه بما توصل إليه منذ قدوم «حنة»... إنه مقتنع بشفقتها عليه وعطفها لأنها طيبة، أرادت أن تغمره بالسعادة في أيامه الأخيرة... وها هي تحاول إقناعه بحبها؛ لأنها تعلم مقدار كآبته وألمه وتحاول أن تنسيه حتى ذلك. كان الوضع مستحيلا بينهما، ولم يعد في الإمكان إصلاح الحاضر.. إذ جثم بينهما حاجز لا نهاية له. أخذا يسيران من جديد، وإذ دخلا منطقة مكتظة بأشجار الزيتون أحست «جودي» بتعاستها تتفاقم وكانت على وشك الاختناق، فقالت:

– أريد الذهاب إلى البيت، لا أحب السير هنا. وقف إلى جانبها وقال:

– «جودي»... إنك ستمرضين نفسك بهذه الطريقة. لفظ كلماته بلهجة حادة وصارمة لم تسمعها من قبل...

– هل نستطيع الذهاب إلى البيت؟ إنني متعبة يا «فيداس».

– منهكة وغير سعيدة... وبحركة غير متوقعة أمسك بيدها وقادها إلى البيت... وعند وصولهما قال شيئًا أضاف صدمة جديدة إلى مشاعرها:

– هل تريدين البقاء وحدك الليلة؟ بما أنك متعبة جدًا؟ حدقت إلى وجهه، وكان أشبه بقناع حديدي، وأجابت بصوت مرتجف:

– إذا كان هذا ما تريده.

– إنه ليس ما أريده أنا... بل ما تحتاجين أنت إليه. وستشعرين بالتحسن غدًا.

– أين سأذهب إذن؟

– ستنامين في غرفتنا، بينما أنام في الغرفة المجاورة.

استلقت في الفراش، وبقيت صاحية كما أكدت للطبيب. دخل «فيداس»

غرفته بعد ساعات وإذ سمعت صوت خطواته، بدأت بالبكاء مرة أخرى. هل تذهب إليه؟ سألت نفسها مرات ومرات. إلا أن فكرة عودتها إلى الغرفة قبله لم ترق لها؛ لذلك بقيت وحيدة.. تفكر... وتفكر... وتفكر. تسلل ضوء الفجر إلى الغرفة فنهضت «جودي» من فراشها وتأملت وجهها في المرآة. تركت دموع الليلة السابقة آثارها واضحة. استحمت وحدها لأول مرة وسألت نفسها عما إذا كان «فيداس» صاحيًا.

وعادت إلى غرفة النوم فوقفت في منتصفها متأملة... كم بدت وحيدة منعزلة! وبدت لها كبيرة وخالية من الدفء، وفكرت في أنها ستكون هكذا حين يذهب الحبيب.

وعضت شفتها بقسوة لتكبح دموعها. يجب أن تحاول التخلص من آثار دموعها وليس زيادتها... يجب ألا يعلم «فيداس» بمقدار معاناتها، إذ سيزيد ذلك من تعاسته، ورغبتها الوحيدة هي تقليل ألمه وعذابه خاصة بعد معرفته الحقيقة عنها، خاصة أنه بدأ يتقبل وضعه الجديد مستسلمًا له رغم افتقاده لأيامه السعيدة السابقة. تلاشى الهناء إلى الأبد. إلا أن هذا لا يعني وجوب قضاء «فيداس» أيامه الأخيرة معذبًا، وسؤاله إياها النوم وحدها في الليلة السابقة لم يكن إلا نتيجة سلوكها هي وحصيلة لقائها بالدكتور «فان ألدن». كان توترها قويًا ورغبتها في الكتمان أدت إلى انفجارها العاطفي. نعم يجب أن تبذل جهدًا أكبر للسيطرة على مخاوفها وعواطفها لتعيد لزوجها الهناء.

بعد ارتدائها ملابسها، جلست على حافة السرير إذ لم يتعدَّ الوقت الساعة الخامسة والنصف صباحًا بعد. هل كان «فيداس» مستيقظًا؟ وعكس رغبتها، في الليلة الماضية، لم تود التوجه إليه فورًا. بل رغبت في البقاء وحدها والتفكير من جديد فيما سمعته من الطبيب «فان ألدن».

www.rewity.com

قال إنها ستفكر بوضوح أكبر في الصباح، ويجب أن يكون قرارها صحيحًا ومناسبًا لها ولزوجها. خلال ساعات الليل الطويلة اعترفت «جودي» لنفسها - رغم موافقتها على قرار زوجها - بأن رفضها نابع أيضا من عامل أناني؛ إذ رأت في لحظات رفضها السريع وضعها فقط وتأثير فشل العلاج فيها وحدها. تخيلت حياتها الخالية، وحدتها الكاملة وانعزالها، وكانت النتيجة موافقة زوجها في رأيه رغم احتمال شفائه. وكل ما همها هو الاحتفاظ به مدة الشهرين المقبلين... شهران تكون فيهما حياتها سعيدة وهانئة. إلا أن «جودي» أعادت التفكير في دوافعها. يجب استشارة «فيداس» قبل اتخاذ القرار النهائي، و «فيداس» هو من سيتخذ القرار الحقيقي الصحيح وليس هي. توجهت إلى غرفته في الساعة السابعة، وقت نهوضهما المعتاد، ووجدته لا يزال في الفراش يستند إلى أحد مرفقيه، ونظر إليها حالما فتحت الباب. مدّ يده نحوها فخطت بسرعة لتمسك بها، وجذبها نحوه ليضمها إلى صدره.

- هل تشعرين بالتحسن؟

- أفضل بكثير.

- افتقدتك يا عزيزتي الغالية... كم أفتقدك. نظرت إليه بحب، ثم أطرقت ناظرة إلى يديه.

- ترى هل تقبل مني ملاحظة صغيرة؟... هل تصدق إذا قلت إنني أفتقدك كثيرًا؟ فقطب جبينه متسائلا:

- أقبل؟

- أعني هل تصدقني فعلا؟ تمتم بلطف:

- أصدقك يا «جودي»، نعم أصدقك. ابتسمت حينئذ ورفعت يده امتنانا ولمستها بشفتيها، فاعترض قائلا:

- «جودي». يجب ألا تفعلي ذلك. بقيت ابتسامتها كما هي لطيفة تدل على فرحها، وأحست بشعور من الألفة يسود الغرفة، جو يختلف تمامًا عن جو الغرفة الأخرى حيث قضت ليلتها وحيدة.

- سأفعل ذلك إذا أردت، شكرًا يا «فيداس» لعدم كرهك إياي.

- أكرهك؟ كيف أستطيع أن أكرهك؟

- تصورت ذلك حين علمت بما فعلته لك... هز «فيداس» رأسه حتى قبل إنهائها حديثها.

- كلا يا عزيزتي، أخبرتك الليلة الماضية بأنك منحتني الكثير، أحبك يا «جودي» وأنت تعلمين ذلك.

وأرادت القول بأنها تحبه، وتكرر ذلك مرات ومرات إلا أنها تراجعت عن الفكرة لعلمها بأنه لن يصدقها.

- «فيداس»، التقيت يوم أمس بطبيب أخبرني بوجود احتمال لشفائك، احتمال ضئيل لعلاجك.

ساد الغرفة صمت عميق فسحبت «جودي» يدها من يد زوجها وابتعدت عنه... كانت حركة تلقائية إذ شعرت بأن زوجها يحتاج إلى التفكير وحده، فوقفت إلى جانب السرير ناظرة إليه.

- علاج؟ لا أعتقد أنني أفهمك؟ من هو الطبيب؟ ولمَ لم يأت للقائي؟ لمَ لم تذكري الأمر الليلة الماضية؟ وكيف ذهبت لرؤيته دون علمي؟

بدأت كلامها موضحة كل ما حدث... كان وجهه رماديًا وتشنجت يداه المسكتان بغطاء السرير، وقالت بعد أن صمت فترة طويلة:

- تستطيع الآن أن تفهم لماذا لم أخبرك مباشرة، شهران يا «فيداس»... إذا عولجت وفشل العلاج فإننا... وفجأة انهمرت دموعها...

- آسفة جدًا... حاولت السيطرة على مشاعري... شهران يا عزيزي،

www.rewity.com

إنهما غاليان وثمينان لكلينا معا. غادر «فيداس» فراشه واقترب منها ليضمّها بين ذراعيه.

– يا فتاتي الصغيرة... لا تبكي، اصمتي.... آه يا عزيزتي، اغفري لي.

فطرفت بعينيها من خلال دموعها باستغراب.

– أغفر لك؟ ماذا تعني؟

– هذه الكآبة، وخوفك لأننا قد نفقد الشهرين... شهران تعتبرينهما غاليين وثمينين، كيف شككتُ ولو لحظة واحدة في إخلاصك حين أقسمتِ بحبك لي؟

– هل تصدقني؟ وملأها العجب ولم تصدق أذنيها.

– «فيداس»... هل تصدقني، أخيرًا؟ وكجواب عن سؤالها، قربها من صدره فسمعت دقات قلبه مختلطة بدقات قلبها. تأوهت بامتنان لأنه صدّقها...

تكلم بعد قليل بصوت حزين ولكنه عملي قائلا إنه سيبحث الأمر مع الدكتور «فان ألدن» أولا ثم سيناقشان المسألة معًا ليكون القرار الأخير قرارًا مشتركًا.

– يجب أن تفكر بعناية وحرص وسنقرر معًا ما هو الأصلح.

– لن يكون الأمر سهلا... الدكتور «فان ألدن» أصر على أن العلاج إما أن يكون ناجحًا تمامًا أو فاشلا ولا حل وسط بينهما. أومأ «فيداس» إيجابًا ورأت معاناته واضحة فعرفت أنها من أجلها.

– دعينا ننسى الأمر الآن إلى ما بعد لقائي بالطبيب. توجها إلى الشرفة لتناول الإفطار، ونجحا في الحديث عن أشياء أخرى تمضية للوقت، ثم اتصل «فيداس» بالطبيب داعيًا إياه لمقابلته، فجاء بعد تسلمه المكالمة الهاتفية فورًا، حيث قضى ليلته في فندق قريب، حجز غرفة فيه عند

وصوله إلى «كورفو». تحدث إليهما معًا إلا أنه لم يضف شيئًا جديدًا إلى ما ذكرته لزوجها. سوى أنه استدار مبتسمًا قبل مغادرته المكان، بعد تأكيد «فيداس» له بإبلاغه الجواب خلال أربع وعشرين ساعة، وقال لـ «فيداس»:

– إن زوجتك يا سيد «تيرون» أخبرتني بكل شيء. صمت «فيداس» وهو يحدق إلى وجهه فواصل الطبيب.

– أخبرتني بأنها تحبك بعمق دفعها إلى التخلي عن الثروة كلها ثمنًا لسكوت «حنة». قاطعته «جودي» بحدة:

– دكتور «فان ألدن»... لم أسألك تكرار ما قلته لك. قال الطبيب وكأنه لم يسمع احتجاج «جودي»:

– وأنك وزوجتك كنتما تعانيان الجفاء إلى حدٍّ ما؟

– لا أستطيع وصف علاقتنا بتلك الطريقة. فقال «فيداس» حين اعترضت «جودي»:

– لم أقل ذلك يا دكتور «فان ألدن».

– ليس بالضبط... إلا أنني فهمت أنك شككت في حب زوجتك لك؟ أومأ «فيداس» وبدا لـ «جودي» تقلص عضلات عنقه لأنه ابتلع ريقه بصعوبة قبل الإجابة:

– إنك محق يا دكتور... كنت أحمق لأشك في زوجتي... شكرًا لإخباري بالمال. توقف عن الكلام ونظر إلى «جودي» بحنان:

– أدركت فداحة غلطتي صبيحة اليوم. وبعد مغادرة الطبيب التفتت «جودي» إلى زوجها وسألته خائفة:

– هل انزعجت يا عزيزي لإخباري إياه بكل التفاصيل؟ حدث ذلك دون تفكير وبسبب اكتئابي حينئذ، ثم إنه طبيب وقد وثقت به. نظر إليها

www.rewity.com

«فيداس» بحب وقال:

– يا عزيزتي، لماذا لم أستطع إدراك مشاعرك وفهمها على أنها نتيجة حبك لي فقط؟

– كان من الطبيعي شكّك في موقفي، وكفّك عن التفكير الآن، فكل شيء على ما يرام بيننا... ما رأيك في الطبيب؟

– يبدو أنه إنسان طيب، لكن لا علاقة لذلك بقرارنا، يبدو أن نسبة نجاح المعالجة ضئيلة... ويجب أن نحسم الأمر ونختار، هل يستحق الأمر المجازفة؟ لا سيما وأن لدينا الآن أقل من شهرين، إنه وقت طويل... ونظر إليها، إلى وجهها الحبيب.

– نعم، إنه وقت طويل. وأوشكت على البكاء. من يدري، ربما يمكنهما أن يقضيا سنوات وسنوات طويلة معًا...

– لدينا اليوم كله لنقرر، سنذهب إلى مكان ما ونفكر وسنصل إلى القرار الحاسم قبل عودتنا.

ذهبا بالسيارة إلى ساحل «باليو كاستيريا» حيث سبحا حتى فترة الغداء، وبعد أن تناولا الغداء في المقهى، سارا مبتعدين إلى مكان هادئ. كان الوقت عصرًا وواصلا سيرهما وحديثهما ساعات وساعات بلا توقف، حتى أحسّا فجأة بحلول الظلمة.

كان يومًا طويلا، يوما حاسمًا حمل لهما الخوف والأمل... إلا أنهما عادا أخيرًا إلى البيت بعد أن توصلا إلى قرار.

«أثينا» المدينة الموحية بالفرح، نظرت إليها «جودي» من نافذة غرفتها في الفندق... ملايين السيارات... قد يكون العدد أقل. إلا أن هذا ما بدا لـ «جودي». والضجة... نظرت إلى ساعتها. إنها ليست السادسة صباحًا بعد. من أين جاءت كل هذه السيارات؟ وإلى أين تتوجه؟ رفعت

عينيها ناظرة إلى معبد «أثينا» العظيم، متألقًا تحت أشعة الشمس، فخورًا بموقعه في «الأكروبولس». لا فائدة. لم تعد «جودي» قادرة على شغل ذهنها بأشياء أخرى. كان «فيداس» حبيبها وزوجها – في المدينة، في المستشفى. منذ يومين... إنه الوقت الحاسم... قد يكون... وابتلعت ريقها وابتعدت عن النافذة إلى غرفة النوم. هذا الانتظار الأبدي.. يا له من انتظار مؤلم! رن جرس الهاتف بعد ثلاث ساعات وأخبرتها عاملة الاستعلامات أن هناك نداء لها.

– شكرًا... وأصغت إلى صوت المتحدث. كان هادئًا واضحًا. وارتجفت يدها الممسكة بالسماعة. أرادت الإجابة... إلا أنها لم تستطع النطق بشيء:

– يا سيدة «تيرون» هل ما زلت هناك؟

– نعم، ما زلت هنا.

– هل سمعت؟ بدأ زوجك في الاستجابة للعلاج. انتهت فترة الخطر... إنه نائم الآن، إلا أنك تستطيعين زيارته، الساعة الثانية بعد الظهر.

– شكرًا دكتور «فان ألدن». ذلك كل ما استطاعت التلفظ به؛ إذ أحست بخواء غريب في داخلها.

– حاولي الحصول على بعض الراحة

وأحست بنبرة الانتصار في صوت الدكتور فأرادت الصراخ شاكرة إياه للتعبير عن امتنانها وتقديرها... أن تشكره مرات ومرات، إلا أنها كانت منهكة القوى، فاكتفت بالقول:

– نعم، سأحاول الحصول على بعض الراحة... وانتظرت مرة أخرى قبل أن تتوجه إلى المستشفى، فدخلت إلى غرفته ووجدته نائمًا ومظهره كما كان عليه حين تركته منذ يومين ونصف.

www.rewity.com

وضعت لها ممرضة يونانية مبتسمة كرسيًا إلى جانب السرير ثم تركت الغرفة. فتح عينيه ونظر إليها... وساد بينهما صمت طويل تبادلا فيه النظرات دون القدرة على قول شيء يوضح مشاعرهما.

بعد أقل من ثلاثة أسابيع، عاد «فيداس» إلى البيت، وزارهما حينئذ والدها و «جيليان». كان «بيل» قد باع منزله ويخطط لبدء مشروع تجاري بالمشاركة مع «جيليان». إلا أنهما قررا أولا قضاء عطلتهما في «اليونان»، عطلة كانت أسعد بكثير من الأولى. سألتهما عن مشاريعهما في المستقبل فأخبرها والدها بأنه سيحصل على الطلاق وسيتزوج «جيليان» بعد ذلك.

علّق «فيداس» ذات مرة:

– يبدو والدك أكثر شبابًا من المرة السابقة.

بعد انتهائهم من تناول وجبة الطعام اللذيذة. بقي «فيداس» مع «جودي» في الشرفة بينما «بيل» و «جيليان» يتمشيان في الحديقة. أجابته بصوتها المرح:

– إنه سعيد... لهذا يبدو أصغر سنًا، وأنا سعيدة جدًا يا «فيداس»؛ إذ ليس هناك غيمة واحدة تعكر عليّ أفق حياتي. وبدا الحب العميق واضحًا في عينيها، فوقف ناهضا عن كرسيه وجذبها نحوه، وردد بحب وهو يتنهد اعترافًا بجميلها وامتنانا لكل ما فعلته من أجله:

– ولا في حياتي أنا الآخر.

تمت بعون الله